حكومة الإنسان

في فكر الشهيد عزالدين سليم

منشورات

حركة الشهيد عزالدين سليم

هوية الكتاب

اسم الكتاب: حكومة الإنسان في فكر الشهيد عزالدين سليم .
المؤلف: حركة الشهيد عزالدين سليم/اللجنة الفكرية.
الطبعة: الأولى 1433هـ - 2012م.
المطبعة: السلام
عدد المطبوع: 2000 نسخة
الناشر: حركة الشهيد عزالدين سليم

((اعتقد بأننا نحتاج في هذه المرحلة سواء أكنا إسلاميين أم كنا علمانيين نحتاج إلى دولة إنسانية تهتم بالإنسان وتبني حكومة الإنسان، حكومة الإنسان التي اقصدها: هي التي تهتم ببناء كرامة الإنسان، بحماية حرية الإنسان بالتعبير عن إراداته، باحترام الرأي والرأي الآخر، وبعد ذلك كفاءة الطرح وكفاءة الرجال سواء أكانوا إسلاميين أم علمانيين هي التي تجعلهم كفوئين لقيادة التجربة))

المفكر الشهيد

عزالدين سليم

المحتويات

تمهيد.....1

الإنسان في فكر الشهيد عزالدين سليم.....2

1. الإنسان كائن من جسد وروح.....3

2. الإنسان كائن روحي.....4

3. الإنسان كائن مادي.....5

4. الإنسان كائن عاقل.....6

5. الإنسان كائن حر.....7

أطروحة حكومة الإنسان عند الشهيد عزالدين سليم.....8

حكومة الإنسان..تعريف مبسط.....9

أصل أطروحة حكومة الإنسان.....10

الشهيد السبيتي (رض) مؤسس الأطروحة:.....11

نماذج حضارية من بيان التفاهم.....12

فلسفة أطروحة حكومة الإنسان.....13

لماذا أطروحة حكومة الإنسان.....14

التأصيل الشرعي لأطروحة حكومة الإنسان.....15

الإمام عليٌ (ع) المؤسس الأول لحكومة الإنسان.....16

خلاصة.....17

حوارات صحفية.....18

الحوار الأول.....19

الحوار الثاني.....20

الحوار الثالث.....21

تمهيد:

لقد نال الإنسان في التراث العربي والإسلامي القديم حضوراً كبيراً، لا كعلم مستقل بل كموضوع متداخل وموزع بين العلوم الشرعية والعقلية. يقول الدكتور محمد جلال شرف: تعتبر قضية الإنسان في مقدمة مباحث الفكر الفلسفي، في مختلف عصوره وحلقاته التاريخية، ولئن كانت مسألة قدم العالم وحدوثه تحتل مركزاً رئيساً في تاريخ الفكر الفلسفي العام والإسلامي على وجه الاهتمام إن دل على شيء فإنه يدل على عمق المسألة الإنسانية في الفكر الإسلامي، وان هذا التأكيد جاء منسجماً مع التأكيد الديني القرآني لقضية الإنسان. ولمبحث الإنسان أهمية كبيرة في المباحث الفلسفية والكلامية. فوصلت قضية الإنسان في بعض الفلسفات إلى مرحلة تفوق البحث في مبحث الإلوهية، وظهر ذلك بصورة واضحة في حركة الاعتزال التي عدّت الإنسان قضيتها الأولى ومقولتها المركزية. فقد حاولت عبر قضاياها الأصولية ومسائلها الكلامية أن تسفر الإلوهية توحيداً وعدلاً من أجل الإنسان والدفاع عن حقوقه في العقل والحرية. بل إن الإنسان يعد هدف الرسالة الإسلامية وأداتها عند المعتزلة وجوهر الدين المحمدي، الذي يعد الدين السماوي الوحيد الذي يؤمن للإنسان حاجاته المادية والروحية معاً. والحقيقية أن البحث في قضايا الإنسان ومعالجتها كان شغل الكثير من العلماء والفقهاء والمتكلمين والفلاسفة. بل عُد الإنسان مركز كل مجال وميدان وجوهره، ولكن بقي هذا الحضور غائباً عن أرض الواقع، كان حضوراً في الوجود الذهني لا حضوراً حقيقياً وفاعلاً ومؤثراً في الساحة السياسية والاجتماعية والحياتية[1].

وقد قدم الدكتور حسن حنفي دراسة قيمة بعنوان (لماذا غاب مبحث الإنسان في تراثنا القديم؟) حيث طرح حنفي التساؤلات عن سبب هذا الغياب وقدم الأجوبة على ذلك.

(1) د. رائد جبار كاظم، الإنسان في الفكر العربي والإسلامي المعاصر.. محمد باقر الصدر إنموذجاً، بيت الحكمة ـ بغداد، 2009م، ، ص62. نقلاً عن محمد جلال أبو الفتوح شرف، الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي، دار المعارف ـ مصر 1971، ص179، وينظر، عبد الستار الراوي، العقل والحرية، دراسة في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1400هـ - 1980م، ص355، وينظر، د. عبد الستار الرواي، فلسفة العقل، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1987م، ص141.

وقد سلط حنفي الأضواء على مسألة أمهات المسائل، وحظيت بالإهمال من لدن الكثيرين ألا وهي مسألة الإنسان. يرى حنفي في دراسته هذه أمور متعددة.

1ـ إننا إذا أردنا أن نبحث عن أنفسنا ووجودنا في تراثنا القديم فإننا لن نجدها، وهذا ما أدى إلى حدوث الأزمة، أزمة فقدان النفس. ويزيد الطين بله إننا نعيش في عصر يتكاثر فيه الكلام عن الإنسان ويكثر فيه الحديث عن حضارة الإنسان، فننجوا بأنفسنا نحو هذا الحديث لعلنا نجدها فيه، ويزداد انفصامنا عن القديم وانحرافنا نحو الغريب.

2. يتساءل حنفي: لماذا غاب مبحث الإنسان في تراثنا القديم؟ ويقصد حنفي من عبارة (التراث القديم) التراث الإسلامي السني، لا التراث الإسلامي عموماً، ولهذا فهو يستثني التراث الإسلامي الشيعي من التساؤل.

3. يرى حنفي أن الإنسان كان حاضراً في التراث الشيعي الذي يرى بأن (الإنسان عالم صغير والعالم إنسان كبير) بحسب تعبير أخوان الصفا. وقد غابت هذه العبارة في التراث الإسلامي السني.

4. يرى حنفي أننا نواجه أزمة معاصرة وهي غياب إنسان في وجداننا المعاصر وذلك بسبب غيابه افي التراث القديم.

5ـ أنه وان حضر الإنسان في التراث القديم كل علم من العلوم ـ حسب كلام حنفي ـ إلاّ أن حضوره كان مغلقاً بمئات من الأغلفة اللغوية والعقائدية والإلهية والتشريعية.

6ـ يرى حنفي أن حضور الإنسان عند المحدثين والمعاصرين من العرب والمسلمين كان تقديراً للفكر الغربي الذي جعل من الإنسان همه الوحيد.

7ـ يرى حنفي أن الحل الوحيد لعلاج الأزمة (أزمة غياب الإنسان)، هو في تمركز الحضارة . حضارتنا . حول الإنسان بدلاً من الله تعالى[1].

ويرى الباحث أن الشهيد عزالدين سليم كان يذهب إلى أن مبحث الإنسان كان

(1) ينظر، د. حسن حنفي، دراسات إسلامية، ط1، دار التنوير ـ بيروت 1985م، ص299-315.

حاضراً وبقوة في روح الشريعة الإسلامية من خلال ((إعلان النصوص الإسلامية الشريفة عن استيعاب الشريعة الإسلامية لجميع الحاجات الإنسانية، وامتدادها لكل المجالات التي يعيشها الناس))[1]، ويتفق الشهيد عزالدين سليم مع رأي الدكتور حسن حنفي حول استيعاب التراث الشيعي لمبحث الإنسان ((من خلال الأبحاث الفقهية العظيمة الشاملة التي عرضها علماء الشريعة الإسلامية، وهي تتناول أحكام الإسلام في مختلف شؤون الحياة الخاصة والعامة[2]))[3].

الإنسان في فكر الشهيد عزالدين سليم:

النزعة الإنسانية في فكر الشهيد عزالدين سليم وأعماله وأقواله، لم تكن في يومٍ ما ذات أسس تنظيرية أو حزبية أو مذهبية أو قومية أو عنصرية، بل هي ذات أسس دينية إسلامية قرآنية، ولم تأتِ إيماناً بإنسان ما دون إنسانٍ آخر، وإنما أتت إيماناً بالإنسان أينما كان، الأبيض والأسود، العربي والأعجمي، الذكر والأنثى، الفرد والمجتمع. الإنسان الذي بعثه الله تعالى خليفة في الأرض ليستخلفه على أمانته ويستأمنه على خلافته، وليس الإنسان الذي قذف به إلى هذا الوجود كما تدعي الفلسفات، وكيف يهب العدم الوجود إذا كان هو عدماً؟، ففاقد الشيء لا يعطيه ولكن الوجود المطلق وحده القادر على منح العدم والأشياء الوجود والحياة.

لقد آمن الشهيد عزالدين سليم بوجود (الإنسان الواحد) و (الإنسانية الواحدة) على الرغم من التعدد والتنوع في الألوان والأشكال واللغات والثقافات، الإنسان الذي خصه الله تعالى بالخلافة وشرفه بحمل الأمانة العظمى، وكرمه وفضله على كثير من مخلوقاته

(1) الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد "عزالدين سليم"، مكانة الإنسان في الإسلام، مؤسسة الشهيد عزالدين سليم الثقافية، العراق ـ بغداد 1426هـ -2005م، ص21.

(2) يكتب الشهيد عزالدين سليم في هامش العبارة أعلاه العبارة الآتية: (يراجع، وسائل الشيعة للمرحوم الحر العاملي، وشرائع الإسلام للمحقق الحلي، وفقه الإمام الصادق للشيخ محمد جواد مغنية وغيرها)،[الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد "عزالدين سليم"، مكانة الإنسان في الإسلام، مؤسسة الشهيد عزالدين سليم الثقافية، العراق ـ بغداد 1426هـ -2005م، ص20].

(3) الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد "عزالدين سليم"، مكانة الإنسان في الإسلام، مؤسسة الشهيد عزالدين سليم الثقافية، العراق ـ بغداد 1426هـ ـ 2005م، ص20.

وموجوداته.

والإنسان القرآني عند الشهيد عزالدين سليم يمثل أعلى درجات الإنسانية، وهو إنسان الإنسانية ومن خلال قراءتنا لأعمال الشهيد عزالدين سليم أن نستخرج التعريفات الآتية للإنسان عنده وهي[1]:

1. الإنسان كائن من جسد وروح:

يقول الشهيد: ((إذا درسنا الرسالات السماوية والمذاهب الاجتماعية الوضعية، فإننا لا نجد رسالة أو مذهباً اجتماعياً وُفِّق إلى الاعتراف بالإنسان كما خلقه الله عزّ وجلّ وبكلّ آفاقه ومشاعره ونوازعه، كما وفقت الرسالة الإسلامية الخاتمة.. فالديانة النصرانية لا تعتني في منهاجها التربوي وفي فلسفتها "الحياتية" إلاّ بالأمور المحصورة في إطار الروح، ولذا فإنها تهتم بالطقوس العبادية، وبالتوجهات الأخلاقية التي تدور في إطار الفرد. أما الديانة اليهودية الحاضرة، فهي تشكيلة من الضوابط التي تركّز على الجوانب المادية من طاقات الإنسان إلى حدّ بعيد أكثر من سواها! وإذا شئنا الحديث عن المذاهب الاجتماعية الوضعية المعروفة اليوم كالنظام الرأسمالي والاشتراكي، فهي أنظمة تقتصر اهتماماتها على تنمية الجوانب المادية في حياة الناس، كالاقتصاد وتنمية الإنتاج وتشجيع الطموحات المادية وما إلى ذلك، أما العواطف الإنسانية واشراقات النفس المعنوية العليا، فلا تحظى في اهتمامات هذه المذاهب كثيراً. وكان من إفلاس الشيوعية والاشتراكية وانهيار المعسكر الاشتراكي.. في أوروبا الشرقية وما يدور في فلكها من دول وأقاليم، قد شكّل ضربة عنيفة وُجِّهت لأبرز المذاهب الاجتماعية المعاصرة، حيث قدّمت الدليل العملي على فشل هذه التجارب الوضعية في قيادة الإنسانية نحو شاطئ السلامة والخير والنماء. وهكذا يبقى الإسلام رسالة ربّ العالمين الخاتمة المحطّة الوحيدة التي تستريح عندها البشرية التي ذاقت الآلام والحروب، وجنت الدموع والدماء تحت ظلال التجارب الوضعية المفلسة، إذا أخذ موقعه الطبيعي في حياة الأمم، بعيداً عن الاستغلال الطبقي باسم الدين، أو تفسيره وفق

(1) ينظر، د. رائد جبار كاظم، مصدر سابق، ص131.

المصالح الطبقية الفاسدة))[1].

2. الإنسان كائن روحي:

يقول الشهيد عزالدين سليم: ((لقد تبنى الإسلام نهجاً متميزاً في تلبية المطالب الروحية لدى الإنسان، يحرص هذا المنهج على تلبية المطالب الروحية لدى الإنسان من خلال أفضل السبل وأقومها، مع المحافظة على خطّة التوازن بينها وبين المطالب المادية في كيان الإنسان، وقد كان المنهاج التربوي الذي سلكه الإسلام الحنيف وفق هذين المحورين فريداً متميزاً يجعل الإنسان المسلم دائم التسبيح، دائم الاتصال ودائم الذكر لله ربّ العالمين، فصحيح أن الصلوات والصيام والدعاء وقراءة القرآن الكريم والاستغفار والأوراد وما إليها ينابيع روحية، تمدّ جسور الصلة بالله الواحد الأحد، فتسبح فيها الأشواق الروحية مسبِّحة ذاكرة، فينقلب الإنسان رّياً روياً راضياً، إلاّ أنها ليست نهاية المطاف. فالإسلام الحنيف يعطي العبادة مفهوماً شاملاً عميقاً إذ كل عمل يعمله الإنسان تلبية وطاعة لله عزّ وجلّ فهو عبادة، وكلّ أمر ينأى ابن آدم عنه تقرباً وطلباً للثواب غهو عبادة، وكلّ سبيل يسلكه المؤمن وقد ندب الباري عزّ وجلّ إليه، فهو عبادة. وهكذا يكون المسلم الذي هذا نهجه وكأنه في خشوع دائم وتطلُّع دائم على الله عزّ وجلّ تجسيداً لقوله تعالى: ((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))[2]. إنه في عبادة وهو في محرابه، كما هو في عبادة وهو في مكتبه، وهو في عبادة عندما يكون في متجره وعيادته أو قاعة درسه أو ساحة جهاده، إنّه الاتصال الدائم بالله جلّ وعلا، واستشعار وجوده، وعظمته في كلّ آن))[3].

3. الإنسان كائن مادي:

يقول الشهيد عزالدين سليم: ((منحت الشريعة الإسلامية الحاجات المادية لدى الإنسان

(1) الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد "عزالدين سليم"، مكانة الإنسان في الإسلام، مؤسسة الشهيد عزالدين سليم الثقافية، العراق ـ بغداد 2005م ـ 1426هـ، ص10-11.

(2) سورة الأنعام: الآية 162.

(3) الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد "عزالدين سليم"، مكانة الإنسان في الإسلام، مؤسسة الشهيد عزالدين سليم الثقافية، العراق ـ بغداد 1426هـ ـ2005م، ص37-38.

نصيبها المناسب من الاهتمام والرعاية بالشكل الذي يحفظ حالة التوازن بين المطالب المادية، وغيرها في حياة الإنسان، وقد حقّق الشرع الإسلامي ما يلي رعاية للجوعات الطبيعية لدى الإنسان:

أولاً: أقرّ الإسلام الحنيف النزوع إلى تملك المال لدى الإنسان وأعطى الفرص المناسبة للاستجابة لهذه الحاجة الحياتية: ((وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ))[1]،((وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا))[2]،((لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ))[3]، على أن الإسلام لم يُبحْ التملك لمال دون ضوابط، وإنما قضى بفرض القيود المناسبة للحيولة دون النمو الاقتصادي السرطاني في دنيا الناس[4].

ثانياً: اعتراف الإسلام الحنيف بالغريزة الجنسية كجانب حيوي في الكينونة الإنسانية: قال تعالى: ((زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ...))[5]، وإلى جانب اعتراف الإسلام بالميل الجنسي لدى الإنسان طرح مفهومة حول إشباع ذلك الميل، وقضى للمؤمنين إلاّ يخالفوا عن أمره، ولا يتجاوزوا أُطروحته لإشباع الجوعة الجنسية. قال تعالى: ((فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ...))[6]، ((فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ))[7]، وحيث شرّع الإسلام الحنيف الزواج بشقيه الدائم والمنقطع كطريق طبيعي لإشباع الجوعة الجنسية، فإنه في ذات الوقت قد منع من ممارسة الزنا واللواط والمساحقة، وسواها من سبل غير مشروعة، وشرّع العقوبات لمخالفي نهجه المتين[8].

5. الإنسان كائن عاقل:

يقول الشهيد عزالدين سليم: ((لم يهتم دين من الأديان.. بقوى الإنسان العقلية كما اهتم

(1) سورة العاديات: الآية 8.
(2) سورة الفجر: الآية 20.
(3) سورة النساء: الآية 32.
(4) الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد"عزالدين سليم"، مكانة الإنسان في الإسلام، مؤسسة الشهيد عزالدين سليم الثقافية، العراق ـ بغداد 1426ه ـ2005م، ص47-48.
(5) سورة آل عمران/ الآية 14.
(6) سورة النساء/ الآية 3.
(7) سورة النساء/ الآية 24.
(8) الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد "عزالدين سليم"، مكانة الإنسان في الإسلام، مؤسسة الشهيد عزالدين سليم الثقافية، العراق ـ بغداد 1426ه ـ2005م ، ص54-55.

الإسلام الحنيف بها، ولقد استفاضت النصوص الواردة عن المعصومين (عليه السلام) التي تتناول مسألة العقل ودوره في مسيرة الإنسان المسلم. ولهذه الأهمية التي يوليها الإسلام لطاقة الإنسان العقلية، فقد اعتاد علماء الحديث الأقدمون أن يفتتحا مؤلفاتهم بباب يُخصص للحديث عن العقل والجهل[1]. أما كتاب الله العزيز فقد أهتم اهتماماً بالغاً بالعقل، وربط قضية الانفتاح على الرسالة وأهدافها بالقوى العقلية التي حباها الله تعالى للإنسان[2]. وضمن عملية الاهتمام الاهتمام بالقوى العقلية لدى الإنسان حدّد الإسلام الحنيف مهام العقل الأساسية، وأوضح مساحة دائرة الصلاحيات الممنوحة له، والحقول التي يجوز له التحرك خلالها، وبذلك استطاع الإسلام أن يجنب عقل المسلم من ارتياد عوالم ومجالات يضلُّ ويزيغ بارتيادها. فمساحة المعرفة صحيح أنها واسعة جداً إلاّ أن أدوات الوصول إليها تختلف من حقل لآخر ومجال لآخر. فمن حقول المعرفة ما يتم حصوله من خلال الملاحظة والتجربة واستعمال الحواس الخمسة، ككثير من حقول المعرفة الطبيعية في الأرض والسماء والنبات والحيوان والإنسان وما إلى ذلك. ومن المعرفة ما لا يمكن الحصول عليه إلاّ من خلال الوحي المقدس، والإلهام والتسديد، كمعارف التشريع الإلهي، ومبادئ الرسالات والعلوم الإلهية التي يتلقاها الأنبياء وأوصياؤهم (صلى الله عليهم أجمعين)، الأمر الذي لا يتسنى للعقل ولا للتجارب العملية أن ترتاده، نعم بمقدور العقل في ها الحقل من المعرفة أن يستوعب أو يضع خطّة لإيصال هذه المعلومات إلى الآخرين مثلاً. ومن المعرفة ما يعتمد كلياً على العقل، كاستخلاص النتائج، والحكم على صحة واستنباط وتطبيق القواعد على التفصيلات والربط بين الظواهر واستنباط ما بينها من عوامل مشتركة، وأمثال ذلك. على أن من الجدير ذكره أن نفوذ العقل حاكم على انجازات التجارب والملاحظات، كما في حالة الحكم على صحة الشيء أو خطئه، أو الربط بين الظواهر، على أنه مع ذلك يبقى للتجارب وللملاحظات دور كبير في تحقيق الانجازات العلمية، بيد أنها تقف عند حدود جمع المعلومات، وتحضير "موادها الخام" لتضعها بين يدي العقل ليمارس دوره في إكمال عمليات الوصول للحقائق الكبرى والنتائج العلمية. ومن

(1) ينظر، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج1، ص10-29، وأيضاً، الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج1.

(2) الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد "عزالدين سليم"، مكانة الإنسان في الإسلام، مؤسسة الشهيد عزالدين سليم الثقافية، العراق - بغداد 1426ه –2005م،ص57.

أجل ذلك فإن عمليات المختبر لا تحقق المطلوب ما لم يتدخل العقل ليحكم التجارب ويدير عمليات استخلاص النتائج، وتوجيه عمليات الوصول للحقائق، وهكذا فإن الملاحظات والتجارب كافة لا تجري أبداً دون الاعتماد على العقل، وأن كانت في بداية العمل تعتمد على ما تعتمد عليه من ملاحظات، وتجارب![1]. إن المنهج الإسلامي المتبنى في تحصيل المعرفة بقدر ما يعبر عن سلامة خطه وصحة مساره فإنه يطرح بكل قوة ووضوح مبدأ الواقعية التي يلتزمها الإسلام الحنيف كروح يسري في جميع متبنياته الرسالية، ومفاهيمه وأحكامه، الأمر الذي يتجلى من خلال رعاية الإسلام للعقل وإزاحة كل العقبات عن طريقه، هذا فضلاً عن فسح المجال لوسائل المعرفة الأخرى لأداء "دورها" في دنيا الفكر الإسلامي[2].

6. الإنسان كائن حر:

يقول الشهيد عزالدين سليم: ((إن الحرية في مضمونها المتداول لدى الناس تعني حرية الفرد في التعبير والاعتقاد وما إلى ذلك، إلاّ أن الحرية في إطار الرسالة الإسلامية تتخذ بعداً أكثر شمولاً من ذلك، فهي فوق اهتمامها بحركة الإنسان العامة وعلاقاته واتخاذها من اهتماماته في الواقع محوراً هاماً لأهدافها تهتم أيضاً بصون إرادته في التعبير والعمل والتعليم والتنقل والتملك وتحمله على رفض الطغيان، واستعباد البشر للبشر... أقول رغم ما توفره الحرية في نطاق الإسلام من هذه الأمور والشعارات فإنها توفر كل مستلزمات تحرير الإنسان من الداخل تماماً كما تحرره من ضغوط الواقع الاجتماعي وقيوده، وتحميه من استعباد القوى الأخرى عبر مسيرة الإنسان العامة. إن عملية تحرير الإنسان من داخله مهمة كبرى لم تنجح في ممارستها ولا في تحقيقها أية رسالة غير الإسلام وهي تعتمد نفس المحور الذي تعتمده الحرية في بعدها العام، وحيثياتها الواقعية.. فتوحيد الله عزّ وجلّ والعبودية المطلقة له لا يقف تأثيرها على واقع الناس العام وعلاقتهم مع القوى المحيطة، وإنما تفعل فعلها القوي في داخل الكيان الروحي والمعنوي للإنسان، إذ تجري داخل النفس الإنسانية أكبر عمليات التحرير بواسطة عملية (الجهاد الأكبر)[3]. إن الحرية الداخلية للإنسان لا يتم تحقيقها بالشعارات وإنما

(1) الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد "عزالدين سليم"، مكانة الإنسان في الإسلام، مؤسسة الشهيد عزالدين سليم الثقافية، العراق ـ بغداد 1426ه ـ2005م، ص59-61.

(2) المصدر نفسه، ص72.

(1) المصدر نفسه، ص76-77.

تتطلب مجاهدة وترويضاً واتصالاً دائماً بالله عزّ وجلّ واستشعاراً يقظاً بوجوده، الأمر الذي توفره التربية القرآنية الكريمة والانطلاق من مراد القرآن، ومفاهيم الأحاديث الشريفة والاستلهام من سيرة الأئمة الهداة عليهم الصلاة والسلام... إن هذه التربية الصالحة هي التي توفر أجواء الحرية المطلوبة التي تعتمد على رصيد العبودية لله تعالى الذي لا ينضب ولا يضعف ولا يتغير[1].

وهكذا فالإنسان عند الشهيد عزالدين سليم كلٌ لا يتجزأ، إذا اقتطعنا منه جزءاً وفصلناه عن أجزائه الأخرى فإنه سيصاب بخلل وستعاق عملية نموه وتكامله لأنه كلٌ متكامل. والإنسان المسلم يعبر عن وجوده الخاص بالتعامل مع الله تعالى بما يملك من قدرة روحية، وبالتفاعل مع الكون بما يملك من قدرة عقلية وفكرية، وبالتفاعل مع المجتمع بما يملك من أخلاق. وهذه العناصر الثلاثة (الروح والعقل والخلق) عند الشهيد عزالدين سليم تعد عناصر أساسية في بناء الإنسان وتكامله[2].

أطروحة حكومة الإنسان عند الشهيد عزالدين سليم:

لقد عمل الشهيد عزالدين سليم أن يجعل الإنسان حاضراً وفاعلاً ومؤثراً بشكل حقيقي على أرض الواقع في الساحة السياسية التي تلقي بظلالها عادةً على جميع الساحات، فتبنى ودعى بقوة بعد سقوط النظام الدكتاتوري في العراق عام 2003م إلى أطروحة "حكومة الإنسان" في العديد من خطاباته ولقاءاته وأحاديثه، كحل ناجع لمرحلة ما بعد التغيير، وخصوصاً في الكلمة التي ألقاها في المؤتمر الوطني للسيادة والديمقراطية الذي عقد في أربيل سنة 2004م، إذ قال:

((أنا أدعو إلى] أهمية نزع تجربة الماضي من حياة العراقيين كافة وأدعو ذوي الخبرة وأصحاب الرأي وقادة الفكر إلى تأسيس (حكومة الإنسان) التي تفتح أبوابها لكل القوى والتيارات وتجد الأكثرية فيها طموحها كما تجد فيها الأقلية مواقعها الحقيقية عبر مثل هذه اللقاءات والحوارات المهمة بين سياسيي العراق.))[3].

(1) المصدر نفسه، ص79-80.

(2) ينظر، د. رائد جبار كاظم، مصدر سابق، ص133.

(3) ينظر، موقع مكتب الإعلام المركزي للاتحاد الوطني الكردستاني على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت)، www.pukmedia.net.

وعندما سأله أحد الصحفيين عام 2004، عن شكل الحكومة القادمة في العراق؟ وأية حكومة يفضل؟ أجاب: ((إننا يجب أن نقيم دولة الإنسان، دولة تحترم الإنسان بكل كيانه، لا تفرق بين البشر، وتعظم كل ما هو إنساني ونبيل ثم ليختار الشعب أية حكومة يُريد))[1].

وعندما سُئل: هل ترون ضرورة إنشاء حكومة إسلامية في العراق؟ وما رأيكم بمستقبل العراق؟

أجاب بالقول:

((إن ذلك شيء يقرره الشعب ولكن يفترض بنا أن ننشئ دولة تحترم الإنسان وقيمة أفكاره وتحقق العدالة فذلك هو ما يدعو له الإسلام))[2].

وعن كونه مع علمنة الدولة أم مع دولة إسلامية؟

قال:

((أنا حقيقةً بالنسبة لي اعتقد بأننا نحتاج في هذه المرحلة إلى سواء أكنا إسلاميين أم كنا علمانيين نحتاج إلى دولة إنسانية تهتم بالإنسان وتبني حكومة الإنسان، حكومة الإنسان التي اقصدها هي التي تهتم ببناء كرامة الإنسان بحماية حرية الإنسان بالتعبير إن إراداته باحترام الرأي والرأي الآخر وبعد ذلك كفاءة الطرح وكفاءة الرجال سواء أكانوا إسلاميين أم علمانيين هي التي تجعلهم كفوئين لقيادة التجربة))[3].

حكومة الإنسان..تعريف مبسط:

أطروحة حكومة الإنسان في فكر الشهيد عزالدين سليم (رحمه الله) يمكن أن نُعرفها بشكل مبسط، حسب المعطيات المتوفرة لدينا بأنها: برنامج حكم سياسي يرتكز في أساسه على اعتبار الإنسان قيمة عليا، ويتعامل معه في جميع مجال الحياة على أساس إنسانيته فقط، دون الالتفات إلى دينه، ومذهبه، وطائفته، وعرقه، ولونه، ولغته، وما إلى ذلك.

(1) ينظر د.حامد الظالمي، رجل الاعتدال عزالدين سليم كما عرفناه، صحفية الزمان في عددها لصادر بتاريخ 2004/5/19م.

(2) د. حامد الظالمي، عضو مجلس الحكم عزالدين سليم العراق الجديد دولة تحترم الإنسان وتحقق العدالة، صحيفة الزمان، السنة السادسة، العدد 1633، الاحد 16 شعبان 1424هـ، 12 أكتوبر (تشرين الأول) 2003م.

(3) فلاح حسن الذهبي، لقاء صوتي مع عضو مجلس الحكم الأستاذ عزالدين سليم، موقع إذاعة العراق الحر على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت):/http://www.iraqhurr.org .

أصل أطروحة حكومة الإنسان:

لقد برزت أطروحة حكومة الإنسان أول ما برزت في فكر الدعوة الإسلامية التي أمن الشهيد (رحمه الله) به إيماناً يقينياً راسخاً، فهو يرى ((إن خط الدعوة يشكل نظرية متكاملة لها هيكلتها المتميزة ولها روحية نابضة دفاقة يتعهدها الدعاة من سلوك وسير الدعوة المعتبر ومن نشراتها المعتبرة... فهي تمثل أنضج نظرية للعمل الإسلامي لحد الآن))[1].

ويرى الشهيد أيضاً بأن الدعوة: ((فهم أصيل للإسلام العظيم، وتصور صادق للمجتمع الإسلامي المنشود، وفهم صحيح للواقع المعاش، ووعي للخط الفكري والعملي الأصلح القائم على أساس هذا الفهم وهذا الشعور.. إن خط الدعوة هو الخط الأصيل بين نقطة البدء . فهم الواقع . وتحقيق الهدف الأكبر إقامة المجتمع الإسلامي في ضوء فهم الإسلام والالتزام بأحكامه.. إن أي خروج عن خط الدعوة لا يؤدي إلى تحقيق الهدف الذي وضعته نصب عينيها بكل أبعاده، علماً بأنه لم يثبت عكس هذه الرؤية، ولم يثبت خطأ هذا الوضوح لحد الآن...))[2].

الشهيد السبيتي (رض) مؤسس الأطروحة:

لقد استلهم الشهيد فكرة وأطروحة (حكومة الإنسان) من فكر قائد الدعوة ومنظرها الرئيس القائد والمفكر الشهيد محمد هادي السبيتي (رض)[3] الذي يُعتبر إمام الدعوة الإسلامية

(1) عزالدين سليم، ملاحظات حول عمل الدعوة في إيران، خاص بالدعاة، ص4.

(2) المصدر نفسه، ص71.

(3) ولد في بغداد عام 1930 ونشأ في أسره متدينة ولها باع في الإسهام بدعم الفكر الإسلامي، فوالده هو العلامة الشيخ عبد الله السبيتي صاحب كتاب سلمان الفارسي، وجده لأمه هو سماحة الأمام الكبير السيد عبد الحسين الموسوي العاملي صاحب كتاب (المراجعات)، أنهى دراسته الابتدائية والثانوية في مسقط رأسه الكاظمية، ثم أكمل دراسته في كلية الهندسة جامعة بغداد، في قسم الكهرباء، وعمل بعد ذلك في محطة كهرباء بغداد، حيث شغل منصب رئيس مهندسين في عقد الستينيات من القرن العشرين. كان عضواً في حركة الأخوان المسلمين في الخمسينيات، ثم أصبح عضواً في حزب التحرير ووصل إلى قيادة التنظيم في الخمسينيات. ثم أصبح الرجل الأول في الدعوة والمهيمن على تنظيمها بلا منازع منذ عام 1963. تعرض للاعتقال من قبل حكومة نوري السعيد في العهد الملكي. في عام 1973 اقتحمت منزله في بغداد شارع فلسطين مدرعة عسكرية مع مجموعة من قوات الأمن إلاّ انه كان حينها في بعثه حكومية إلى لبنان ووصله الخبر عن طريق شقيقه مهدي السبيتي فبقى هناك. ثم غادر لبنان إلى الأردن ليستقر في مدينة الرزقاء الأردنية ومن هناك أدار تنظيم الدعوة الإسلامية. اعتقلته سلطات المخابرات الأردنية بطلب من المخابرات العراقية في 1981/5/9، وسلمته إلى نظام البعث الذي أبقاه في السجن حتى أعدمه عام 1988: [للمزيد ينظر المركز الوطني للدراسات الاجتماعية والتاريخية، شذرات من حياة المفكر الإسلامي الكبير الأستاذ الشهيد محمد هادي السبيتي، (البصرة، 2005)، ص4-7، (كراس)].

وقائد فكرها وخطها وعملها وأساليبها. فقد ذاب الشهيد عزالدين سليم في شخص وفكر هذا القائد العظيم، وكان يُعتبر المدافع الأبرز عن فكره الفذ والمطبق لرؤاه وتصوراته، حتى عَدهُ البعض خليفته. حيث يعتبر القائد السبيتي (رض) المؤسس لأطروحة (حكومة الإنسان)[1] فقد أشار إليها في بيانه التاريخي الحضاري الذي كتبه في أوائل عام 1979م، والمعروف بـ(بيان التفاهم)[2] يقول الشهيد عزالدين سليم واصفاً قائده وملهمه بالقول: ((وحول الإنسان وحبه له وضرورة حمايته ورعاية مصالحه، ما نراه مسطراً شامخاً في (بيان التفاهم) حيث يدعو إلى حكومة الإنسان في العراق قبل أن يدعو إلى أي حزب أو جماعة أو شخص يوم ذاك...))[3].

نماذج حضارية من بيان التفاهم:

وهذه نماذج حضارية من بيان التفاهم الذي يعتبر التأسيس العملي لأطروحة (حكومة الإنسان):

(1) من خلال متابعة الباحث تبين له أن أول من نحت مصطلح "حكومة أو دولة أو جمهورية الإنسان" هو المرجع الديني آية الله العظمى العلامة السيد محمد حسين فضل الله (قده)، وفي استفتاء وجههُ الباحث إلى سماحة السيد فضل الله بتاريخ 19 ربيع الأول 1431، حول هذا الموضوع أجاب بما نصه: (أطروحتنا هذه لا نريد بها ما يعني أنها دولة علمانية لا تحكم بالشريعة الإسلامية، فنحن من هذه الجهة من دعاة قيام الدولة الإسلامية التي تحكم وفقاً للشريعة المطهرة، حيث يمكن إقامتها في ظل الظروف الحالية، ونريد بدولة الإنسان ما يعني قيام الحاكم بالعدل دون تفرقة بين رعاياه على أساس العرق والمذهب، ولكن عند عدم توفر الظروف لإقامة دولة الإسلام).

(2) [يعتبر بيان التفاهم الصادر سنة 1979م] الانجاز الفكري الأكثر شمولاً وأهمية، حيث عبّر عن رأي الحركة الإسلامية في جميع خطوط الوحدة التي يمكن أن تلتقي عندها المعارضة العراقية، فضلاً عن الفصائل الإسلامية. لقد طرحت الدعوة الإسلامية، في بيانها معظم ما في جعبتها، وتوجهت فيه إلى جميع العراقيين..سنة وشيعة، عرباً وأكراداً وتركماناً وأعراقاً أخرى، المنتظمين في مختلف الأحزاب والمنظمات السياسية والنقابية، أهل الكتاب من نصارى وكلدان وآثوريين وأرمن وأقليات أخرى. وأكد على وحدة الكلمة وتكافؤ الفرص للجميع ونبذ الفرقة المذهبية والعنصرية وكل ما يتصل بالتعصب الذميم في جميع المجالات. ودعا العراقيين إلى العمل الجاد والتعاون المثمر والحياة الفاضلة. وطرح نقاطاً عامة تشكل محاور للتفاهم المشترك بين جماهير الأمة والمجموعات السياسية التي تهدف للإطاحة بالنظام الحاكم في العراق. كما دعا أيضاً جميع الفصائل والاتجاهات الإسلامية العراقية لتركيز الصراع السياسي مع عملاء الاستعمار والحكام في العراق، وعدم تشتيت الجهود في الخلافات الهامشية...[لقد] وصفة صحيفة اللوموند (الفرنسية) [بيان التفاهم] بأنه (مفاجأة).[ينظر، علي المؤمن، سنوات الجمر، ص257، وص294، ولمطالعة نص البيان كاملاً، ينظر، ثقافة الدعوة الإسلامية، ج4، ط1 ،1409هـ، ص350].

(3) عزالدين سليم، شهيد يتحدث عن شهيد، كلمة الشهيد عزالدين سليم، في تأبين المفكر الإسلامي الشهيد الأستاذ محمد هادي السبيتي (رض) في الحفل الذي أقيم في جامع (الدهاليك) في منطقة (الكريعات) في بغداد بمناسبة العثور على قبره في مقبرة الكرخ الإسلامية سنة 2003م، المركز الوطني للدراسات الاجتماعية والتاريخية، البصرة 2005، ص7، (منشور).

1. خطاب إلى الأمة العراقية بكل مكوناتها بدون استثناء:

((يا أمتنا الإسلامية: عرباً، وأكراداً، وتركماناً، وأعراقاً أخرى. أيها المنتظمون في الأحزاب السياسية والنقابات والمنظمات. يا أهل الكتاب من نصارى العراق، عرباً، وكلدانيين، وآثوريين، وأرمن، وأقليات أخرى))[1].

2. خطاب إلى العراقيين جميعاً بعنوان (عِراقيتهم) فقط لا غير:

((أيها العراقيون جميعاً: إن الحياة السياسية في العراق هبطت إلى درجة تكاد لا تصدق، فقد أشاع المتحكمون الإرهاب إلى أن أوصلوه إلى جميع الأوساط، وأصبح الإنسان لا يأمن، ولا يجد الاستقرار النفسي، سواء أكان قريباً من السلطة أم بعيداً عنها، وسواء أكان في الوظيفة الحكومية أم في العمل الحر وسواء أكان طالباً أم متخرجاً، وسواء أكان يريد العمل في السياسة أو يبتعد عنها، وسواء أكان رجلاً أو امرأة...))[2].

3. خطاب لكل المجموعات البشرية والسياسية:

((ومن أجل وحدة الكلمة في هذا الظرف البالغ الخطورة الذي يعيشه إقليمنا العراقي.. نخاطب كل المجموعات البشرية والسياسية في العراق))[3].

4. خطاب إلى جميع علماء المذاهب الإسلامية:

((يا علماء المسلمين: في النجف، والرمادي، وكربلاء، والموصل، والأعظمية، وباب الشيخ، ومدينة الثورة، والكرخ، والرصافة، والبصرة، والناصرية، وسوق الشيوخ، وسامراء، وكركوك، واربيل، والسليمانية، والديوانية، والسماوة، وتكريت، وكبيس، وهيت، والفلوجة، وخانقين، والنعمانية، والكوت، والعمارة، وبعقوبة، والخالص..وجميع مدن العراق...))[4].

5. خطاب إلى جميع المسلمين المنتظمين سياسياً:

((أيها المسلمون: المنتظمون في مختلف الأحزاب والتنظيمات: (الأخوان

(1) بيان التفاهم الصادر من حزب الدعوة الإسلامية إلى الأمة في العراق، منشورات حزب الدعوة الإسلامية/الإعلام المركزي، بدون سنة طبع، ص1.
(2) المصدر نفسه، ص 1-2.
(3) المصدر نفسه، ص9-10.
(4) المصدر نفسه، ص11.

المسلمين، و(الحركة الإسلامية)، (شباب محمد)، و(الشبان المسلمون)، و(أنصار السنة)... يا كل العاملين في سبيل الله: ((يا أيها الذين آمنو: اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وانتم مسلمون))، ((واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا))، ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهمون عن المنكر وأولئك هم المفلحون))، ((ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم))[1].

6. خطاب الى جميع الفصائل القومية والوطنية من عرب وأكراد:

((أيتها الحركات والفصائل القائمة على أساس القومية والوطنية من عرب وأكراد: ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند اتقاكم))[2].

7. خطاب إلى جميع الأخوة الكرد:

((أيها الأخوة الأكراد في ارض العراق، وخارج العراق أيتها الحركات والمنظمات الكردية))[3].

8. خطاب إلى الأخوة الشيوعيون:

((نعتقد أن جمهور الشيوعيين لم يعملوا مع الشيوعية لإلحادها ولا لفكرها المعادي للإسلام، وإنما عملوا معها لاعتقادهم أنهم يعملون ضد الاستعمار ويعملون ضد الظلم الاقتصادي الواقع على بلاد المسلمين))[4].

9. خطاب لحفظ كرامة إنسانية الإنسان:

((أيها العراقيون الحزبيون: فتشوا عن نقاط الالتقاء معنا من خلال هذه الأفكار المطروحة في هذا النداء، ولنعمل على إسقاط هذا النظام الظالم. إن حق الإنسان المهدور ينادي كل من له كرامة ليعمل ضد انتهاك هذا الحق المعترف به من الجميع))[5].

(1) المصدر نفسه، ص11.
(2) المصدر نفسه، ص13.
(3) المصدر نفسه، ص14.
(4) المصدر نفسه، ص16.
(5) المصدر نفسه، ص17-18.

10. خطاب إلى جميع العراقيين الحزبيين وأنصارهم:

((أيها العراقيون من أعضاء الأحزاب وأنصارهم))[1].

11. خطاب إلى جميع فئات العراقيين المهاجرين:

((أيها المهاجرون من العراق، أيها المخرَجون من دياركم: أيها الفارون بدينكم وكرامتكم، أيها الطلاب ورجال الأعمال العراقيون في الخارج))[2].

12. خطاب إلى جميع النقابيين وأصحاب الجمعيات والمهنيين:

((أيها النقابيون وأصحاب الجمعيات والتنظيمات المهنية، أيها العمال والفلاحون والأطباء والصيادلة والمهندسون، أيها الزراعيون والكيمياويون والجيولوجيون والاقتصاديون والحقوقيون، أيها المعلمون والطلاب))[3].

13. خطاب إلى جميع الأقليات الدينية:

((أيتها الأقليات الدينية: يا نصارى العراق ويا صابئة العراق))[4].

14. خطاب إلى جميع البعثيين:

((أيها البعثيون السائرون مع الظالمين من غير وعي ولا إدراك لما تجتنبه أيديكم من أعمال جائرة بصورة مباشرة في حق هذا الإقليم))[5].

15. خطاب إلى جماهير الأمة العراقية عامة:

((يا جماهير أمتنا: أيها العراقيون بجميع انتماءاتكم واتجاهاتكم الفكرية: إن الأوضاع السياسية لم تعد أوضاعاً تخضع للمنطق الإنساني السليم، ولا حتى للمنطق الإنساني المتخلف، فقد ابتلى العراق وأهله بأعمال تحولت على أحط من منطق الحيوان))[6].

16. بنود إنسانية في برنامج بيان التفاهم السياسي:

((. إن العمل السياسي ليس منحة يتفضل بها الحاكم ويهبها للشعب، وإنما هو

(1) المصدر نفسه، ص18.
(2) المصدر نفسه، ص19.
(3) المصدر نفسه، ص20.
(4) المصدر نفسه، ص22.
(5) المصدر نفسه، ص23.
(6) المصدر نفسه، ص26.

حق من حقوق الإنسان الإلهية لا يجوز المساس بها، لأن السياسية ينبغي أن تحترم رعاية الناس ضمن إطار معين ومتفق عليه، والإنسان الممنوع من ممارسة حق العمل والمحاسبة السياسية إنما يعامل معاملة الحيوان، ومن يقوم بذلك فإنما ينزل بظلمه من درك التعامل الإنساني إلى الدرك الحيواني[1].

. أول الأمور التي ينبغي التفكير فيها لإعادة حقوق الإنسان في العراق هو إلغاء القوانين الصادرة بتوجيه عقلية إجرامية مستهترة بحقوق الإنسان[2].

. ينبغي على أجهزة الدولة ان تحترم الإنسان وتحفظ كرامته وتحافظ على حياته وأمواله ودينه. ولا يجوز أن تبقى الدولة على هذا النمط من معاملة الإنسان التي تصل إلى أدنى حد من الانحطاط بالتعذيب والقتل والمحاكمات الصورية التي تصل إلى حد إيقاف معاملات الناس إلاّ أن تكون بالواسطة أو الرشوة، والتي تصل إلى التفريق بين الناس للانتماء المذهبي والعرقي، ولذلك ينبغي أن يفسح المجال للجميع وتعمل الدولة لأن تتكافأ الفرص، كما ينبغي أن تعمل الدولة على التخلص من آثار السياسة الانكليزية التي وضعوها للعراق لغرض التفريق بين الناس، والتي لا تزال متبعة على الآن يتوارثها السياسيون وكبار الموظفين خلفاً عن سلف، وكأنها أعراف مقدسة، وما هي إلاّ سموم سياسية واجتماعية وضعها المستعمرون في بلادنا [3].

. على الدولة أن تبسّط المعاملات التي يحتاجها الناس في مراجعاتهم مع الدولة، فلا يعقل مثلاً أن ينتظر الناس سنين طويلة لحل مشاكل بسيطة يمكن أن تحل ببساطة وبوقت قصير، ولذلك فلابد أن تتبع الدولة سياسة اللامركزية وإعطاء الصلاحيات للموظفين المختصين لوضع الحلول وإنهاء المعاملات، وإيجاد مكتب للشكايات على المقصرين، ووضع عقوبات رادعة للمرتشين[4].

. يجب أن يتجه التنظيم الداخلي نحو اللامركزية وتيسير الخدمات التعليمية والصحية

(1) المصدر نفسه، ص33.
(2) المصدر نفسه، ص34.
(3) المصدر نفسه، ص51.
(4) المصدر نفسه والصفحة.

وغيرها للجميع من خلال التنظيم اللامركزي، وذلك بتكوين مجالس خدمات لكل عدد من المجموعات السكنية، ولكل مجموعة سكنية فيها (500) عائلة أو أقل مجلس خدمات يسمى مجلس قروي أو بلدي، وتكون صلاحية هذا المجلس إنشاء المستوصفات والمدارس والطرق والنظافة... وما إلى ذلك، وتكون واسطة بين الدولة وبين الناس لتيسير جميع الناس داخل حدود الدولة، ويمكن أن يتألف المجلس الاختصاصين على قدر الإمكان، ويمكن أن يكون الأعضاء غير متفرغين إلا عضواً واحداً بمثابة رئيس لهذا المجلس[1].

. [يجب] تغيير التعامل الاستعلائي الذي يتعامل فيه الضباط مع الجنود بحجة الانضباط العسكري، وهي أسس طارئة على مجتمعنا جلبها المستعمرون ضمن أفكار وتشريعات كثيرة زرعوها في بلادنا ولم نتخلص منها بعد[2].

. تحويل مؤسسة المخابرات إلى مؤسسة تخدم أهداف البلاد ومصالحها العليا كمراقبة أعمال المستعمرين لا مراقبة أحرار البلاد[3].

. عدم استعمال الجيش لضرب الشعب كما حدث في أربعين الإمام الحسين (ع) سنة 1977م[4])).

فلسفة أطروحة حكومة الإنسان:

يعلل الشهيد عزالدين سليم تبنيه لهذه الأطروحة بالقول: ((أنا إنسان يتبنى الإسلام على المستوى الستراتيجي، ولكن في هذه المرحلة، نحتاج حكومة إنسانية، نظام يسمح لنا بالعمل، لأنه بنظري أنه إذا أتينا بالإسلام الآن وأردنا أن نطبقه، فسندمره في بلد مدمر اقتصادياً، وسياسياً، واجتماعياً، لأننا لو أتينا الآن بالإسلام وحاولنا تطبيقه على هذا المجتمع، فإنه سيفشل، إذاً ما نريده الآن هو حكومة تخدم الإنسان، تعطيه كرامته، وحريته، وبعد هذه المرحلة يمكننا . إذا أحسنا الطرح . أن نطرح الإسلام للناس كما فعل الأخوة الإسلاميون الأتراك، فهؤلاء الأخوة دخلوا في جو علماني راسخ ومحمي بالجيش والمؤسسات المالية،

(1) المصدر نفسه، ص52.
(2) المصدر نفسه، ص55.
(3) المصدر نفسه، ص56.
(4) المصدر نفسه والصفحة.

ولكن بطرح رائع ومقبول، استطاعوا أن يدخلوا في جيب النظام العلماني ويفرضوا رؤاهم عليه، وهذا أعظم عمل ونجحوا لحد الآن. إن العراق يختلف عن الآخرين، لا نبدأ ولا نستعجل إذا أردنا أن نخطوا خطوات صحيحة أو سليمة. في هذه المرحلة علينا أن نستفيد من وجود حكومة تخدم الإنسان وتداوي جروحه، وتعطيه حريته بعد ذلك تزرع القيم للمجتمع، وحينئذٍ يمكن أن نطرح الإسلام طرحاً كفؤاً، وأن تشاع القيم وتبنى الحياة الكريمة للناس))[1].

لماذا أطروحة حكومة الإنسان:

وعن سبب وعلة تبنيه لهذه الأطروحة يقول: ((..حقيقةً نحن نعتقد بالنسبة إلى تطبيق الإسلام لابدَّ أن يعتمد على قضيتين:

القضية الأولى: لابد أن تقبل به الأمة، وأي فرضٍ للإسلام يساوي الكفر، يعني فرض الإسلام على الناس يساوي الكفر، فلا يصح أن نفرض الإسلام على أحد، وإنما لابد أن تقبله الأمة بدليل قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ))[2]، حتى يرضوا هم بالإسلام ويقبلوه، فإن فرض الإسلام على الناس حينئذٍ لا يمكن أن يؤدي إلى قيام حضارة إسلامية.

القضية الثانية: أن الإسلام يعتقد بالتدرج، وأفضل طريقة لنا في هذه المرحلة على الأقل لعدة عقود من الزمن في هذا البلد المدمر، نحتاج أن ندعو إلى حكومة الإنسان التي تتوافر فيها الحرية المسؤولة والعدالة الاجتماعية، والقضاء المسؤول الذي يراعي الناس ولا يفرق بين جنسياتهم وبين مذاهبهم، إذا قامت عندنا هكذا دولة، فهي تحقق لنا ثلاثة أرباع أهداف الإسلام..))[3].

إضافةً إلى ذلك فإن الشهيد يؤمن بما قررته الدعوة الإسلامية من أن تغيير المجتمع يبدأ من القاعدة الشعبية وليس من رأس الهرم فربما يكون الحكم إسلامياً ولكن الشعب لا يطبق الإسلام، ولكنه في مرحلة ما بعد سقوط الدكتاتورية في العراق رأى بأنه ينبغي . بشكل

(1) جريدة الشراع، ملحق خاص بمناسبة استشهاد المناضل عزالدين سليم رئيس مجلس الحكم، بغداد، 2004م، ص3.

(2) سورة الرعد: الآية 11.

(3) مقابلة أجراها مراسل إذاعة BBC البريطانية مع الشهيد عزالدين سليم، محفوظة على قرص CD في مكتبة المركز الوطني للدراسات الاجتماعية والتاريخية في البصرة.

مرحلي . أن يتم تغيير القاعدة من رأس الهرم، من خلال تقديم القيادة القدوة التي تحترم كرامة الإنسان كانسان بغض النظر عن العناوين الأخرى من خلال تطبيق مبدأ العدالة الاجتماعية ونكران الذات وتغليب مصلحة الأمة على المصلحة الشخصية ، وبهذا يمكن اختصار سنين من تربية المجتمع العراقي المحطم مع عدم وجود ضمان حقيقي في نجاح برنامج التربية الروتيني المطول.

إذ أراد الشهيد عزالدين من خلال أطروحة الحكومة الإنسانية تجاوز الجبر التاريخي والاجتماعي[1] الذي يحتاج إلى سنين طويلة في إصلاح المجتمع. وهذه النظرية طرحها طرحها الشهيد علي شريعتي في كتابه "الإسلام والإنسان" أو كما أطلق عليها بـ(سجون الإنسان الأربعة) في محاضرة مشهورة[2]

(1) ولعل ذلك هو احد الأسباب التي دعت الشهيد عزالدين سليم يطلق على المركز الثقافي الذي أسسه في مدينة البصرة بعد عودته إلى أرض الوطن بـ(المركز الوطني للدراسات الاجتماعية والتاريخية)[الباحث].

(2) يكتب الدكتور الشهيد علي شريعتي قائلاً: (كيف يمكن النجاة من جبر التاريخ؟ لو أستطاع الإنسان أن يحس ويفهم من أنه في الواقع لعبة بيد قدرة عظيمة باسم التاريخ؛ وإذا تمكن بمساعدة علم التاريخ وفلسفة التاريخ من اكتشاف حركة التاريخ والقوانين السائدة عليها؛ وإذا استطاع أن يكتشف أي عوامل للتاريخ وكيف أنها تؤثر في بنائي ـ "أنا" الإنسان أو نحن الناس ـ الفكري، الإداري، الشعوري، والأخلاقي، فعندها يتمكن الإنسان من أن يجد طريق نجاته من السجن الثاني الذي هو التاريخ. ونحن نرى الآن أن الإنسان قد وصل إلى هذه المرحلة إلى حد ما، حيث نعرف الآن في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية مجتمعات قد اجتازت عدة مراحل، بالنسبة لسير الحركة التاريخية، بقفزة واحدة وبدون ان نطوي هذه المراحل، أيّ بلحاظ المراحل التاريخية، يجب على هذا المجتمع أن يصل ـ خلال عدة قرون ـ من المرحلة الأولى إلى الثانية، وبالتالي يجب أن يصل الى المرحلة الثالثة جبراً، وبعد ذلك يصل جبراً إلى المرحلة الرابعة وهكذا، هذه هي حركة تاريخ المجتمع. مثلاً هذا المجتمع في أي مرحلة؟ في المرحلة الثالثة، حسن جداً، إذاً فمن الواضح أنه يجب أن يصل الى المرحلة الرابعة جبراً، ثم الخامسة، وبعد ذلك المرحلة السادسة. ولكن نفس هذا المجتمع، بالحدّ الذي يحصل فيه على الوعي التاريخي، وبالحدّ الذي يعرف مثقفوه هذه المرحلة التاريخية الخاصة، أنها كيف تكون، وصنيعة أي جبر تاريخي، يتمكن هذا المجتمع، بقفزة واحدة وبدون أن يطوي المرحلتين الرابعة والخامسة، أن يصل إلى المرحلة السادسة. هذا هو الخروج والفرار من سير العليّة والمعلولية الجبرية الحاكمة على حركة التاريخ طيلة حياة المجتمع، وعلى المجتمعات جميعاً طي هذه المراحل ـ جبراً ـ للوصول إلى المرحلة السادسة. كانت المجتمعات تتحرك بهذا الشكل، وعلى أساس حركة التاريخ هذه، على طول التاريخ دائماً ولكن إنسان العصر، وبالقدر الذي يحصل فيه على الوعي التاريخي، يعرف التاريخ، يكتشف حركة التاريخ، ويتمكن أن يتجنب حركة التاريخ الجبرية هذه، ومن ثم يختار إحدى هذه المراحل التاريخية التي يريدها. ولهذا السبب، ترى أحياناً في دنيانا هذه، بعض المجتمعات التي تعيش في المرحلة البدائية، قبائل تسكن الأخبية الرقّيّية، فجأةً وبثورة على التاريخ، أوصلت نفسها إلى مرحلة متقدمة أعلى من المرحلة البورجوازية. هذا هو التمرد على التاريخ، هذا هو الانطلاق، انطلاق المجتمع من جبر التاريخ وبفضل معرفة جبر التاريخ، حركة التاريخ، واكتشاف قوانين التاريخ الجبرية..أما الجبر السوسيولوجي "الاجتماعي" فنشاهد ـ أيضاً ـ في الماضي، أن كل فرد ينشأ بالشكل الذي يقتضيه مجتمعه، ولكن اليوم بالعكس من ذلك ينشأ بالقدر الذي يتسع فيه علم الاجتماع، بالقدر الذي يكتشف فيه العلاقات الطبقية؛ بالحدّ الذي يفهم فيه فلسفة السياسة والحكومة، وبالقدر الذي يحصل فيه على الوعي الاجتماعي، وعلى حد قول "ياسبرس":

التأصيل الشرعي لأطروحة حكومة الإنسان:

لقد أستدل الشهيد عزالدين سليم على مشروعية هذه الأطروحة من خلال مصادر التشريع الأصلية من قرآن وسنة وكما يلي:

أولاً: عالمية الإسلام:

يقول الشهيد:((إن عالمية هذا الدين، يمكن عرضها..من خلال هذه الحيثيات:

1. إصرار هذا الدين على مخاطبته لكل المتمتعين بخصائص الإنسانية دون أن يكون وقفاً أمة دون أخرى، أو لغة دون أخرى أو لون دون آخر، أو عنصر دون آخر:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ))[1]،((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا))[2]. وهكذا فان الإسلام في نصوصه المركزية الأصيلة، ومن خلال مبادئه الأساسية، خاطب الناس جميعاً وتخطى الألوان واللغات والعناصر والفوارق الاجتماعية والجغرافية، وقد ترجم المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الخط الرسالي الثابت بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم)

"الأناس صنايع المجتمعات، يتحولون إلى أناس يصنعون المجتمعات". عندما كنتم تنظرون في الماضي إلى مجتمع قبلي، أو مجتمع إقطاعي، أو مجتمع ريفي متخلف، لم يكن لدى أفراد ذلك المجتمع أقلّ شك حول نظام حكومتهم، نظام دينهم، عقائدهم وتقاليدهم، ومن غير الممكن أن يكون لهم ذلك. كانوا يعتبرون هذه الأمور أبدية لا تتغير سرمدية وجبرية سائدة على كل شيء، كالشمس، كالسماء تماماً من غير الممكن أن يخطر ببالهم أبداً أنه من الممكن أن يكون دينهم خاطئاً، إذاً ليختاروا ديناً آخر، أو أن هذا النظام، أو هذه القوانين التي يجريها رئيس القبيلة أو الآخرون، من الممكن أن تكون غير صحيحة بصورة أخرى، لأنهم كانوا قد نشأوا بالصورة التي رسمها لهم نظامهم الاجتماعي وهم يفكرون على ضوئها. أما إنسان اليوم فإنه يتمكن من اختيار دينه بصورة واعية، كما يمكن رفضه بصورة واعية. الدين هو احد العوامل والقوى التي يعرضها المجتمع على الفرد أو يفرضها عليه. أما إنسان اليوم، وفيما يخص الدين والنظم الاجتماعية الحاكمة عليه دائماً، فهو مخيّر، يتمكن من الرفض، يتمكن من الاختيار، من الشك فيه. فالنظم الإنتاجية، والنظام الاقتصادي، ونظام الملكية، والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، والعلاقات الطبقية، والقوانين العائلية ومزاياها، والمجاميع الاجتماعية، كلّها لم تعد كما في الماضي أمام إنسان العصر الواعي، على أنها واقعيات أزلية أبدية لا تتغير، وسائدة ومقدسة وسماوية ومنزلة من عالم الغيب؛ لا، بل هي ظواهر بجانب الإنسان يتمكن من التفكير حولها واتخاذ القرار، يختار أو يرفض. ونرى أنّهم يرفضون ويختارون آخر، يغيرون، يصلحون، ويحدثون انقلاباً، يغيرون الزي والقيافة، يغيرون الدين. كل هذه الأمور تدل على أن إنسان العصر قد يحصل إلى حد ما على حريته من السجن الثالث الذي هو سجن المجتمع، وكل يوم يمر فهو في طريقة للحصول على المزيد من حريته. هذا التخلص من قيد النظام الاجتماعي الحاكم حصل عليه الإنسان بواسطة علم الاجتماع، بواسطة العلوم الاجتماعية، بفعل دراسة ومقايسة النظم الاجتماعية).[الشهيد علي شريعتي، الإسلام والإنسان، دار الأمير، ص181-185].

(1) سورة الحجرات: الآية 13.

(2) سورة سبأ: الآية 28.

((يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وان أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي، ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أسود فضل إلاّ بالتقوى))[1].

2. يحرص الإسلام الحنيف على إرساء مفهوم كون البشر عموماً من أصل واحد، وأما حالات التفاضل التي صنعتها الأعراف الوضعية، فليس لها مبرر بالمرة، ومن أجل ذلك يقول الله تعالى معمقاً هذا المفهوم:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً))[2].

فلا السلالة قادرة على إلغاء هذه الحقيقية.

ولا القوة تستطيع أن تغير هذا المفهوم.

ولا السلطان بمقدروه أن يقلب ميزان الحق.

فالناس مصدرهم التراب وأبوهم آدم (عليه السلام)، وما عدا ذلك من التقسيمات فهي عارضة لا تنال الأصل، ولا تغير من الواقع.

إن هذه الحقائق التي يُرسي الإسلام عليها مفاهيمه، والتي يتعامل من خلالها مع الإنسان لا وجود لها في آفاق أية حضارة مهما تظاهرت أو أدّعت[3].

إن النزعة الإنسانية لم تكن معروفة لدى الحضارات الوضعية السابقة للإسلام، كما لم تكن معروفة بعد ظهور الإسلام إلاّ بعد التواصل الحضاري بين الإسلام والأمم التي عاصرت الحضارة الإسلامية لعدّة قرون حيث بدأت أوروبا تعيش موجة من الأفكار والنظريات التي تعترف بحرية الإنسان وإراداته كنتيجة طبيعية لتأثير الموجة الإسلامية العالمية، على أنه من الطبيعي أن لا يكون التأثير الإسلامي كاملاً بسبب روح المقاومة التي أبداها الغرب في القرون الوسطى تجاه الإسلام إضافةً على موقف الكنيسة وأجهزتها، وحكّام الأقاليم

(1) ينظر، ابن شعبة الحراني، تحف العقول، خطبه الرسول (ص) في غدير خم، ط5، ص30.

(2) سورة النساء: الآية 1.

(3) الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد "عزالدين سليم"، مكانة الإنسان في الإسلام، مؤسسة الشهيد عزالدين سليم الثقافية، العراق - بغداد 2005م - 1426هـ،ص12-14.

الأوروبية من الموجة الحضارية الإسلامية..!![1].

ثانياً: حرية الاعتقاد في الإسلام:

كما يستدل الشهيد على صحة أطروحته من خلال حرية الاعتقاد التي كفلها الإسلام في الكثير من نصوصه الشريفة من قرآن وسنة، رغم كونه رسالة الحق الخاتمة، حيث يقول:

((بالرغم من أن الإسلام الحنيف هو رسالة الحق الخاتمة لكل الرسالات، والمخلّدة عبر الزمان والأجيال حتى قيام الساعة، إلاّ أنّ هذه الحقيقة لم تقف مبرراً لمنع حريّة التفكير والمناقشة والحوار حول مبادئ هذا الدين. وقد تجلّت هذه الروح العظيمة صريحةً في آيات الكتاب العزيز وفي سنّة المعصومين (عليهم السلام). قال تعالى:((قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ))[2]. فمع أنّ الحوار الذي تتحدث عنه الآية المباركة، كان حواراً بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومشركي قريش الضالّين المضلّين، إلاّ أن هذه الحقيقة لم تمنع القرآن الكريم والرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، أن يتحاور معهم حول الحق ومبادئه بطريقة يشعرهم كما لو كان يبحث معهم عن الحقّ والصراط المستقيم بلا قسر ولا ضغط ولا إكراه: ((وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ))[3]، ومع أن اليهود والنصارى يُعتبرون في نظر الإسلام أتباع أديان منسوخة وقد طالتها يد التحريف والتشويه، إلاّ أنّه يحمل خلال التعامل معهم شعار عدم إكراههم على تبني الدين الإلهي الجديد وقيمه السماوية: ((لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))[4]، فلا إكراه لأحد على تغيير دينه، ولا تقييد على الديانات، وأصحابها أبداً في المجتمع المسلم! وحتى عمليات الفتح التي قادها المسلمون وباشروها لفتح البلدان التي حول الدولة الإسلامية لم يكن القصد منها إجبار الناس على الاعتقاد تحت ظلال السيوف، وإنّما كان هدف تلك الفتوح المظفرة أن تزاح الحواجز المادية . وهي الطواغيت ومؤسساتهم . التي تحول بين الناس في تلك البلدان وبين وصول نور الإسلام إلى قلوبهم، وتبقى عملية الحوار مفتوحة مصونة

(1) المصدر السابق، ص 19.
(2) سورة سبأ: الآية 24.
(3) سورة سبأ: الآية 24.
(4) سورة البقرة: الآية 256.

بعد ذلك، كما أن الفتوحات عموماً كانت حروباً دفاعية، لم تقصد بذاتها. وليس أدلُ على اهتمام الإسلام بحرية الاعتقاد من اعتماده على الحرية الفكرية في تبنّي الأسس العامة للرسالة، كالإيمان بالله تعالى وعدم الركون إلى التقليد أو المحاكاة في تلك المسائل الضرورية بالمرّة))[1].

ثالثاً: تجربة الرسول (ص) والإمام علي (ع) أسوة وقدوة:

يقول الشهيد عزالدين سليم: ((..ينطوي القرآن الكريم والسنة الشريفة، على مئات النصوص الكريمة التي ترسخ مفاهيم المحبة بين الناس، وحسن المعاشرة، والوحدة، والألفة، ونبذ العدوان بين الناس، مما يعكس روح الإسلام الحنيف، وقيمه في تكريم الإنسان، ورعايته وصيانة وجوده، وكرامته. إن هذه النظرة الإنسانية السامية للإنسان، التي يتمسك بها الإسلام الحنيف، ويعمق ركائزها، ويدعو إليها، منذ بداية مسيرته المباركة في مكة المكرمة، قد جعلها أمير المؤمنين عليه السلام أساساً لتجربته الثقافية والاجتماعية، والسياسية، منها ينطلق، وعليها يعتمد، من اجل خلق تجربة إسلامية . إنسانية رائدة على ظهر هذا الكوكب الأرضي.. فما تراه الأجيال المتعاقبة من عدل، وتسامح، ورعاية للإنسان وصيانة لحقوق الناس، واهتمام بخيرهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وإصرار منقطع النظير على إقامة المعروف، وهدم ركائز الظلم، وإشاعة الخير، والحب، وإلغاء التمييز القومي، أو القبلي أو الديني أو غيره، والإطاحة بكل ألوان العدوان على عباد الله.. أقول: إن ما يراه الناس من هذه المصاديق في تجربة أمير المؤمنين عليه السلام، وسياسته العملية، إنما هي تطبيق لروح الإسلام الحنيف، وإرادة الله الرحمن الرحيم لعباده من الخير والرحمة، وإشاعة العدل، وليس ذلك اجتهاداً من علي أمير المؤمنين عليه السلام أو ميلاً أو رغبة، وإنما هو منهاج الله عز وجل لعباده الذي صدع به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأقصاه الظالمون عن ميدان العمل، فلما أتيحت الظروف، وتوفرت الفرص لأمير المؤمنين عليه السلام، باشر بعملية تنفيذ ذلك المنهاج الإلهي العظيم، في خطوات جريئة هزت أركان الأجهزة النفعية، والكيانات الوصولية في المجتمع، ممن يهمهم استمرار التزييف لرسالة الله تعالى، والافتئات على منهاجه الإنساني المقدس.. ومن اجل ذلك شهدت تجربة الأمام علي عليه السلام مواجهات قاسية، وردود فعل مريرة، من اجل إحباط مشروعه الإصلاحي الكبير،

(1) الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد "عزالدين سليم"، مكانة الإنسان في الإسلام، ط2005م -1426هـ، مؤسسة الشهيد عزالدين سليم الثقافية، (العراق ـ بغداد)، ص83-86.

لإعادة المسيرة إلى خطها الإلهي المرسوم.. فكانت أحداث البصرة، والنهروان، وصفين، وأمثالها من مواجهات دموية كبيرة، إضافة إلى مختلف أشكال التآمر، والتصدي، السياسي، والإعلامي، والاجتماعي، ووضع الخطط التآمرية من اجل تعويق مشروع النهضة الإلهية الكبرى، التي قادها وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): علي بن أبي طالب عليه السلام!))[1].

الإمام عليٌ (ع) المؤسس الأول لحكومة الإنسان[2]:

كما أستطاع الشهيد أن يبرهن على صحة أطروحته، من فهمه المعمق لسيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام، وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، خصوصاً عهده الذي كتبه لعامله على مصر مالك الأشتر (رض)، حيث يقول الشهيد:

((..تشتمل هذه الديباجة الحضارية الرائعة . التي يعرض من خلالها أمير المؤمنين علي عليه السلام جوهر حقوق الإنسان، وروحه . على جملة حقائق، وقيم إنسانية:

1. إنّ الرحمة، والمحبة عند الإمام عليه السلام، أساس العلاقات بين الناس في المجتمع المسلم، بغض النظر عن الاختلاف القومي والديني، والسياسي، بينهم، وان الحاكم لا ينظر للأمة التي يرعاها، إلاّ من خلال الرحمة والمحبة لهم جميعاً، ويحكّم هذه النظرة إليهم في الحقوق، والواجبات معاً.

2. إنّ صفة الإنسانية، هي التي تفرض تلك المحبة والعدل واللطف بالناس جميعاً، فالرحمة تشمل هؤلاء الناس بسبب كونهم بشراً، ولا تفضيل لأحد على احد أمام القانون لاعتبار معنوي أو مادي.

3. الحاكم مسؤول عن إقامة العدل بين الناس جميعاً، وإشاعة المعروف والتعامل معهم على أساس المساواة، باعتبارهم نظرائه في الخلق، أو إخوته في الدين.

(1) عبد الزهراء عثمان محمد، المعارضة السياسية في تجربة أمير المؤمنين، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت ـ لبنان، 1424هـ ـ 2003م، ص25-26.

(2) يقول الشهيد عزالدين سليم (رحمه الله) في أحدى مقالاته: ((إن الإنسان حين يلتقي باسم علي (عليه السلام) فإنه أول ما يلتقي بتصميمه على اقتلاع الظلم، وحرصه على تكريم الإنسان، واحترامه، وإشعاره بقيمته كإنسان أولاً وقبل كل شيء:"الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق" ، فلا عنصرية متعالية، ولا غرور قومي، ولا تعامل جاهل مع الحقائق. وإنما الناس بشر، لهم قيمة إنسانية قبل كل شيء. والتعامل مع الناس يأخذ في نظر علي (عليه السلام) هذا اللحاظ، ولا تختلف المباديء المعلنة عند أمير المؤمنين (عليه السلام) مع السلوك اليومي المجسد))، [ينظر، المفكر الإسلامي الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد "عزالدين سليم"، من حصاد التجربة، مصدر سابق، ص55].

4. العفو والصفح أساس الحكم الإسلامي العادل، وليس إيقاع العقوبة وإقامة الحدود إلاّ عند الضرورة، وفي حدود ضيقة محدودة. فالمجتمع الإسلامي، مجتمع العفو والصفح، والتسامح، والحاكم مسؤول عن إشاعة العفو، والصفح بين الناس بحجم حاجته الى عفو الله، وصفحه.

5. الحكم، والإدارة، مسؤولية أمام الله عزّ وجل من اجل خدمة الناس، وإشاعة المعروف، وليس أداة للإكراه، والإرهاب، والتعالي على الناس بسبب عامل القدرة والسلطة التي أتيحت للحاكم.

6. الإنصاف والعدل أساس الحكم الإسلامي الصالح، وليس الفتك بالمجتمعات، والدول من شيوع الظلم، والاضطهاد ((أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة اهلك، ومن لك فيه هوىً من رعيتك، فإنّك إلاّ تفعل تظلم..))، ((ليس شيء ادعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم..)).

7. غلق الأبواب التي تهب منها رياح الحقد بين الناس، مما يساهم في تعكير أجواء السلام، والحب بكل الوسائل ((أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل وبرٍ..))[1]. إنّ هذه المفردات، والمحاور، تشكل روح الحضارة الإسلامية، وأساس المجتمع الإسلامي وقوامه الذي خطط النبي وأوصياؤه (صلوات الله عليهم) لإقامته في الأرض))[2].

إشكالٌ ورد:

ولم يترك الشهيد استدلاله ناقصاً، دون الرد على الرأي الآخر الذي يعتقد خلاف ما ذهب إليه إذ يقول:

((قد يتساءل البعض، كيف يوفق الإسلام الحنيف بين اعتقاده بأنه كلمة الحق الأخيرة التي ألقاها الله رب العالمين إلى رسوله الخاتم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتعايشه مع الديانات الأخرى، التي تتقاطع مع الكثير من قيمه، وعقائده، ومفاهيمه، كالشرك بالله تعالى، وشرب الخمر، ونكاح المحارم، والانحراف في العبادة

(1) نهج البلاغة، ج3.

(2) عبد الزهراء عثمان محمد، المعارضة السياسية في تجربة أمير المؤمنين، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت - لبنان، 1424هـ - 2003م، ص181-182.

والعمل، والطقوس الخرافية، وما إلى ذلك مما تحمله هذه الديانة أو تلك؟ والحقيقة التي لا غبار عليها، أن من أسس هذا الدين الخالد، وقيمه العظيمة، اعتماده على احترام الإنسان، وتكريمه، مهما كانت ديانته التي يدين بها، طالما لم يمارس العدوان على الآخرين، ولم يباشر الظلم والحرب على الحق وأهله: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...))[1]، عن علي عليه السلام ((الناس صنفان، إما أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق))[2]. وبناءً على هذه القيمة المعنوية العالية للإنسان فإن الإسلام الحنيف يتبنى التضحية بالكثير من حدوده، وقيمه، ومفاهيمه، إذا تعارضت مع حياة الإنسان أو كرامته أو سمعته... وهذه نماذج من تضحية الإسلام بحدوده من أجل الإنسان:

. يجيز الإسلام أكل الكثير من المحرمات إذا توقفت حياة الإنسان على تعاطيها كلحم الخنزير، والميتة، والدم وما إلى ذلك.

. يجيز الإسلام ترك الكثير من الفرائض لمن يضره أداؤها كالصيام للمسن، والحامل، إذا أضر الصيام بها أو بحملها، مثلاً أو إسقاط الجهاد عن شرائح معينة من الناس، وعن المرأة لخصائصها الجسمية.

. يوجب الإسلام رد السلام على المؤمن أثناء الصلاة إكراماً له، رغم أن الصلاة في غير هذه الحالة تقطعها كلمة واحدة.

. يجب قطع الصلاة الواجبة . وهي عمود الدين . من أجل إنقاذ حياة إنسان من غرق أو حرق أو غير ذلك.

وهناك عشرات النماذج حول تضحية الإسلام بحدوده رعايةً للإنسان، وحفظاً لحياته. حتى إن فقهاء الإسلام وأئمته، يعتمدون في التعامل مع هذه الحقيقة من خلال قاعدة أصولية ثابتة عند الجميع: (عند الضرورات تباح المحظورات). وفي قيم الرسالة الإسلامية، ومفاهيمها، أن الوجود كله مسخر للإنسان، يقول تعالى: ((وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ

(1) سورة السراء:الآية 70.
(2) نهج البلاغة، ج3.

لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))[1]، وهكذا فإن هذه المكانة التي يحتلها الكائن الإنساني، تفترض ذلك الموقف الرسالي المتميز منه، حيث يمنع الإسلام الحنيف من اضطهاد الناس، على أساس أديانهم أو معتقداتهم، ويعتبر عملية الإرهاب الفكري، والديني أمراً محظوراً. وفي ضوء هذا النَفَس الإسلامي المتميز، يأمر الإسلام أتباعهن بضرورة التعامل بالبر والإحسان والرعاية لأصحاب الأديان الأخرى، غير الحاملين سلاح العدوان على المسلمين ((لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ))[2]. وحتى في حالة الدعوة إلى الدين الحق من قبل المسلم، ونشر مبادئ الإسلام بين الناس، فلابد من رعاية مشاعر المخاطبين أو من يصلهم الخطاب، سواء أكان الخطاب الثقافي قد حمله كتاب يؤلف أم خلال حوار شفهي أم في ندوة فكرية أو ما إلى ذلك، يقول الله تعالى: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...))[3]،((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ))[4]. ولقد بالغ الإسلام الحنيف في رعاية مشاعر الآخرين عند الحوار معهم حول أحقية هذا الدين، وحقيقة ارتباطه بالله الكبير المتعال وارتضائه من قبله دون غيره حيث يقول الله تعالى معلماً الدعاة إلى الله عزَّ وجلَّ ومرشداً في كيفية الحوار الهادئ الرزين النافع: ((قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ))[5]. حيث يقف المحاور المؤمن، وخصمه على صعيد واحد، وكأنهما يبحثان معاً عن الحق، دون أن يرجح نفسه على مناظره ابتداءً، وهنا غاية ما يتمتع به الإنسان من الحيادية والإنصاف عند محاورة الآخرين))[6].

(1) سورة النحل: الآيات 14،13،12.
(2) سورة الممتحنة: الآية 8.
(3) سورة النحل: الآية 125.
(4) سورة العنكبوت: الآية 46.
(5) سورة سبأ: الآية 24.
(6) عبد الزهراء عثمان محمد "عزالدين سليم"، التعددية وأخلاقية الحوار في الإسلام، إصدارات المركز الوطني للدراسات الاجتماعية والتاريخية في البصرة، 2003، ص10،15.

خلاصة:

لقد كان ملهم هذه اطروحة الحكومة الانسانية هو القائد الشهيد محمد هادي السبيتي (رض) ثم طور الشهيد هذه الفكرة، ورأى بأن تبنيها في مرحلة ما بعد سقوط النظام من قِبلِهِ ومن قبل جميع القوى السياسية الإسلامية وغيرها يُعد حلاً واقعياً مثالياً للخروج من أزمة ما بعد سقوط الدكتاتور، ولكن للأسف لم يؤخذ بهذه الفكرة إلاّ بعد أن خسر العراق خسائر لا تعوض بثمن.

ستبقى أطروحة حكومة الإنسان التي نادى بها الشهيد وتبناها والتي حاولنا التعريف بها وتبيان أصولها المرجعية، الحل الأنجع لما يمر به العراق اليوم، وسوف تثبت الأيام فشل جميع الطروحات المطروحة لحل أو لحلحلة الوضع المتردي في البلد، وسيضطر السياسيون العراقيون الوطنيون بالرجوع إلى هذه الأطروحة لأنها الحل الأمثل للخروج من المأزق القائم، ولا نبالغ إذا تنبأنا بأن أطروحة (الحكومة الإنسانية) ستنال اهتماماً واسعاً من قبل السياسيين والمعنيين بمستقبل بلدانهم، في القادم من الأيام.

حوارات صحفية مع الشهيد عزالدين سليم

الحوار الأول[1]

*** تدعوا حركتكم إلى حضارة إسلامية مع انصهار الطوائف والمذاهب الأخرى في هذه الحضارة، هناك من يجادل أن ذلك قد يكون على غرار الحكم في إيران وقد ينتقص من حقوق أقليات معينة؟**

. بالنسبة للانتقاص من حقوق الآخرين تعتبر بدعة في الإسلام وتعتبر حالة لم يواجهها المسلمون إلا في أيام الخوارج، فقد جرت عندنا انتكاسة في الحضارة الإسلامية عندما ظهر الخوارج الذين حاربوا العقائد الأخرى. هذا التيار المتطرف الذي له امتدادات اليوم في العالم الإسلامي مع الأسف إذ أصيبت بعض الاجتهادات القديمة وهي اجتهادات الخوارج الذين قاتلوا دولة العدالة دولة علي بن أبي طالب (ع)، ثم قاتلوا المسلمين وكفروهم.

نحن نعتقد إن الإسلام على ضوء عقيدة المسلمين الصحيحة التي تقوم على مبدأ ((لا أكراه في الدين)) هذه الآية تعتبر مبدأ للعلاقة مع اليهود والنصارى والمجوس. هذه الآية حينما اعتمدت بشكل صحيح ولم تزور قامت حضارة إنسانية في الأرض وهي حضارة المسلمين. هذه الحضارة استوعبت جميع التيارات الدينية في المجتمع.

وأنا أحدثك عن بعض الأحاديث مثلاً أذكر لك جملة من الأمثلة مثلاً إن معابد المجوس عندما فتحت بلاد فارس بقيت ثلاثمائة سنة لم يتعرض لها المسلمون أبداً. ثلاثمائة سنة بعد الفتح كانت تعمل بحريتها وكان رجال الدين المجوس يمارسون شعائرهم بدون أي أكراه. وعندما سُئل الرسول (ص) عن التعامل مع المجوس كان يقول: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب)، أي اعتبروهم أهل كتاب وأجروا عليهم أحكام الإسلام ليمارسوا عقائدهم وطقوسهم وحركتهم اليومية بما يشاؤون.

(1) مقابلة أجراها مراسل إذاعة BBC البريطانية مع الشهيد عزالدين سليم، محفوظة على قرص CD في مكتبة المركز الوطني للدراسات الاجتماعية والتاريخية في البصرة.

وعلي بن أبي طالب (ع) عندما غزيت مدينة الأنبار التي هي اليوم محافظة الأنبار في العراق، وكانت المدن غير المدن الحاضرة إذ كانت ولايات والولايات أكبر من المحافظات الحالية فولاية البصرة مثلاً تمتد إلى كرمان في إيران ويعين المحافظ أو الوالي ما يسمى بالعمال في الأقضية والنواحي التابعة للولاية.

محافظة الأنبار كانت تشمل الجانب الغربي من العراق إلى سوريا، هذه المدينة كان فيها يهود ونصارى، وعندما هجمت قوات معاوية على هذه المدينة وقتلت بعض النصارى وسلبت نساء بعض اليهود، فكان لعلي بن أبي طالب (ع)، قول في نهج البلاغة يقول: (بلغني أن المسلمة والمعاهدة . المعاهدة المراد منها النصرانية التي دخلت معها في عهد وفي اتفاق . . لا يلومني الناس إنمت جزعاً على ما جرى على هؤلاء الذين هم رعايا ومواطنو الدولة الذين يستحقون الرعاية من عندنا.أهل الذمة في الإسلام تعني الرعاية، يعني ما يقال

وحتى كلمة بأن هؤلاء من أهل الذمة من الأديان الأخرى، يعني صاروا في ذمتنا وفي رقابنا وعلينا ان ندافع عنهم وان نحميهم بدمائنا إذا تعرضوا إلى خطر فكان علي بم أبي طالب (ع) يعتبر هؤلاء أهله وهو المسؤول عنهم وعن حمايتهم. مر (عليه السلام) في الكوفة ورأى نصرانياً يتكفف . يطلب مالاً من الناس . قال من هذا قيل هذا نصراني وليس له كفيل، فقال (عليه السلام): (استعملتموه في شبابه وتركتموه في شيخوخته وان حقه في بيت المال).

لقد كانت الأديان الأخرى تعتبر جزءاً من الدولة الإسلامية لذلك عاش أصحاب الديانات الأخرى بكل حرية في بلاد المسلمين حتى أنهم كانوا يقولون إن عيشنا كنصارى في بلاد المسلمين وفي دولة المسلمين كانت أحب إلينا من عيشنا مثلاً في بلاد النصارى إذ كانت هناك صراعات بين الطوائف النصرانية المختلفة.

وفي دولة المسلمين تجد مستشار الحاكم نصرانياً أحياناً أو يهودياً ونحو ذلك.

نحن كمسلمين في الحضارة الإسلامية الصحيحة لا نفرق بين المسلم وبين غيره في إطار الحضارة الإسلامية إذا قامت بشكل صحيح وبُنيت على قاعدة ((لا أكراه في

الدين قد تبين الرشد من الغي))، فتعاليم الإسلام تلقى على غير المسلم فإن قبل بها أهلاً وسهلاً وإن لم يقبل فهو ودينه.

*** هنا السؤال يمكن أن يكون الإجماع باتجاه حكم ديمقراطي بعيداً عن حكم إسلامي ماذا يكون موقفكم؟**

. حقيقيةً نحن نعتقد بالنسبة إلى تطبيق الإسلام لابد أن يعتمد على قضيتين:

القضية الأولى: أن تقبل به الأمة وأي فرضٍ للإسلام يساوي الكفر. يعني فرض الإسلام على الناس يساوي الكفر. فلا يصح أن يُفرض الإسلام على أحد، وإنما لابد أن تقبله الأمة بدليل قوله تعالى: ((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))، حتى يرضوا هم بالإسلام ويقبلوه فإن فُرض الإسلام على الناس حينئذٍ لا يمكن أن تقوم حضارة إسلامية ولا يمكن أن تكون حرية لانطلاق الناس نحو الحضارة الإسلامية الصحيحة فأول قضية هي لابد أن تقبل الأمة بالحضارة الإسلامية.

القضية الثانية: أن الإسلام يعتقد بالتدرج وأفضل طريقه لنا في هذه المرحلة على أقل لعدة عقود من الزمن في هذا البلد المدمر نحتاج في هذه المرحلة أن ندعوا إلى **حكومة الإنسان** التي تتوفر فيها الحرية المسؤولة، والعدالة الاجتماعية، والقضاء المسؤول الذي يراعي الناس ولا يفرق بين جنسياتهم وبين مذاهبهم. إذا قامت عندنا هكذا حكومة فهي تحقق لنا ثلاثة أرباع أهداف الإسلام.

نحن نعتقد إن الإسلام الحقيقي الذي جاء به محمد بن عبد الله (ص) هذا الإسلام يقوم بالدرجة الأولى على رعاية الإنسان لذلك يغير الله أحكامه من أجل الإنسان.

مثلاً الإسلام يحرم أكل لحم الخنزير على المسلم لكنه إذا كانت حياة الإنسان متوقفة على أكل لحم الخنزير يوجب الإسلام على المسلم أن يأكل لحم الخنزير للحفاظ على حياته من الموت.

والمرأة المسلمة يجب عليها ترك الصيام الواجب إذا أضر بها أو بجنينها.

إذا الله تعالى يعطل أحكامه من أجل حياة الإنسان، وقد قامت رسالات الأنبياء

(ع) وخاتمهم محمد (ص) من أجل رعاية الإنسان، لأن الله تعالى لم يرسل الرسل من أجله هو عز وجل، وإنما من أجل الإنسان لكي يسعد في الدنيا والآخرة. فرسالات السماء إنما جاءت من أجل إسعاد الإنسان ولذلك جاء مسألة النسخ أي ينسخ الله تعالى بعض الشرائع حينما تضيق عن استيعاب حاجات البشر، وحينما تكون معوقاً لنهضة البشر في التمنية والبناء والأعمار فيغيرها الله تعالى ويأتي بشرائع أخرى ينطلق من خلالها الإنسان نحو كماله ونحو سعادته ونحو بناء حياته.

*** إستطراداً لهذا الشرح هناك دعوات للاقتصاص ممن ساهموا في قتل المسلمين وقد تكون هذه الدعوات للفتنة والقتل، والقتل المضاد، والثأر، وهناك حالات من الضغوط على الطائفة المسيحية في البصرة، لارتداء الحجاب، وغلق محلات الخمور، ومضايقات شخصية أخرى كيف تنظر إلى هذه الأمور؟**

. ..إن حالة الثأر والتعود على الثأر هي حالة غير حضارية ولا يدعو لها الإسلام ولا تدعو لها أعرافنا الشرقية في هذا المجتمع المدني الذي هو أفضل من غيره من المجتمعات المجاورة، حسب علمي إن المجتمع العراقي يختلف عن غيره من المجتمعات بأنه مجتمع مدني وأول المدنيات في الأرض قامت في هذه البلاد وأفضل الحكومات الديمقراطية الإنسانية أقامها علي بن أبي طالب (ع) في هذا المجتمع في عاصمة الكوفة، ولذلك ليس من المناسب ان نعتمد طريقة القصاص عن طريق الثأر البدوي المتخلف، وان علينا ان نعتمد الصفح أولاً لندمج هؤلاء في مجتمعنا، ونعتمد طريقة القضاء العادل الذي تمارسه المحاكم الطبيعية التي تعتمد طريقة الدفاع والمحامي والشهود إلى غير ذلك. أما الدعوات التي تنطلق من بعض المساجد أنا اعتقد إن هذه دعوات لا تعتمد على شريعة الله تعالى أبداً ولا سيما مذهب أهل البيت (ع) الذي أمتاز بالتسامح مع أتباع الديانات الأخرى، ولو تقرأون حياة الأئمة (ع) لوجدتم ان كثيراً من زوجات الأئمة كتابيات أي إما يهودية أو نصرانية، فهذه أرمينية وتلك قبطية وهكذا. لذلك تجد هذا الحب الذي جرى لأهل البيت (ع) من قبل الموالي الذين أمتازوا بقربهم من علي بن أبي طالب (ع) وأولاده (ع) لأنهم عاشوا ظلماً وتمييزاً أيام الدولة الأموية

لذلك أقتربوا من أهل البيت (ع) لأنهم رأوا الرعاية التي كان يتلقاها الناس من قبل أهل البيت (ع) لأنهم كانوا لا يميزون بين المسلم وبين النصراني، وقد كان شعار علي بن أبي طالب (ع) حينما قيل له: ينبغي عليك أن تقسم المال بيننا على أساس التقوى القرب من قريش، فقال (ع): أما قضية التقوى فتتعلق بالآخرة، أما في الدنيا فإننا يجب أن نعطي كل إنسان حقه سواءً زاد دينه أم لم يزد، وسواء صلى أم لم يصلي، فكلاً له حقوقه من بيت المال ما دام إنساناً.

على هذا التصور فإننا نعتقد إن الدعوات التي تنادي بمحاربة النصارى أو محاربة السفور واستعمال العنف لا يقبل بها رب العالمين ولا يقبل بها مذهب أهل البيت (ع)، فشريعة الله تعالى العادلة تحتضن الإنسان وتهتم برعايته وبمصالحه وبتحقيق العدالة في المجتمع. وإن الهداية لا تُفرض على الناس فرضاً وإنما ندعوهم فقط فإن استجابوا فبها وان لم يستجيبوا ندعوهم وما يشاؤون.

وغير المسلم لا يحارب وحتى المسلم الذي لا يعتقد بما تؤمن به الدولة لا يحارب من قبل الدولة إلا إذا رفع السلاح في وجهها. هذه هي القاعدة التي كانت متبعة عندنا.

لذلك تعامل علي بن أبي طالب (ع) مع الخوارج تعاملاً رائعاً حينما قيل له إن هؤلاء يخالفونك في العقيدة، فقال (ع): وان خالفوني في العقيدة فإما (سبٌ بس أو عفوٌ عن ذنب) حسب عبارته، فإذا حملوا السلاح بوجهنا حينئذٍ نحمل السلاح في وجوههم، ولا يجوز لنا أن نقف في وجوههم بمجرد أنهم يختلفون معنا في الرأي أو العقيدة.

الحوار الثاني[1]

قال الناشط الإسلامي وعضو مجلس الحكم الانتقالي عزالدين سليم يجب أن نبدأ بتغيير خطابنا السياسي وان نشيع حالة التسامح وتبني التعددية واعتبر سليم أن ما تعرض له المثقف الإسلامي في يد النظام السابق هو الذي خلق حالة الانكفاء لديه جاء ذلك ضمن حوار فكري خص به إذاعة العراق الحر والذي بدأه بالقول:

. المثقف العراقي حقيقةً بجميع تياراته وجميع انتماءاته سواء كان إسلامياً أو ليبرالياً أو كان يسارياً بمختلف تياراته، اعتقد يتعرض الآن إلى تحدي كبير وليس إلى محنة فقط إنما تحدي لأرائه لأفكاره لطروحاته التي يتبناها وهذا التحدي يقتضي منا كمثقفين بمختلف تياراتنا بغض النظر عن كوننا إسلاميين أو غيره يقتضي منا أن نغير خطابنا الثقافي صحيح إننا فوجئنا بالتغيرات، وواجهنا مئتان صحيفة في البلد بعد الدكتاتورية وبعد الإرهاب الفكري والجسدي وغير ذلك ولكننا الآن التقطنا أنفاسنا كمثقفين يجب علينا أن نبدأ بتغيير خطابنا الثقافي بما يناسب المرحلة يجب علينا كمثقفين أن ندعو أن نتعاون ونتبانا على ضرورة دعم حال التسامح في البلد كلنا يجب أن نتوجه إلى حالة التسامح في البلد وقبول الآخر وتتبني التعددية القومية والمذهبية والدينية والسياسية وكذلك الديمقراطية والشورى والفصل بين السلطات وما أشبه، هذه القضايا التي تصب جميعاً في خلق تجربة إنسانية رشيدة أنا اعتقد انه إذا تبناها الآخرون فمن الطبيعي إنها تنتقل إلى القطاعات الأخرى أنتم تعلمون أن المثقف صحيح هو الآن في محنة صحيح هو الآن قعقعة السلاح والإرهاب وكذلك وحالة العنف والتطرف في البلد تمنع المثقف من أداء رسالة ولكن أنا اعتقد تصميم المثقف على أداء رسالته واخذ موقعه الطبيعي في البلد أنا اعتقد سوف يخفف من حال التطرف وسوف يقنع كثير من قطاعات الأمة في البلد حتى من خلال الغناء المعني يجب عليه أن يغني الآن للسلام

(1) فلاح حسن الذهبي، لقاء صوتي مع عضو مجلس الحكم الأستاذ عزالدين سليم، موقع إذاعة العراق الحر على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت):/http://www.iraqhurr.org .

وللمحبة وللتسامح وكذلك صاحب الفن يجب عليه أن تكون لوحته تدعو لفن المتسامح.

*** هنالك ملاحظة كثيراً ما نسمعها من العديد من المثقفين، هنالك إشكالية التعاون مع المثقف الذي توجهه إسلامي كأنه هناك عملية انكفاء كأنه يفتقر إلى لغة المعاصرة في الغالب يفتقر إلى لغة الحوار هل تشخص هذا؟**

. حقيقة المثقف الإسلامي مر بمراحل المرحلة الأولى في بداية النهضة والصحوة الإسلامية العراقية كان الخطاب الثقافي الإسلامي رائعاً فقد كان هذا الخطاب بعيداً عن التطرف بعيداً عن الانكفاء على الذات وإنما كان خطاباً يواجه الجميع ويخاطب الجميع ولذلك حينما تقرأون كتابات السيد الشهيد الصدر الأول، من خلال اقتصادنا كان كتاب حوار تقرأون المدارس الفكرية كلها كانت موجودة المدارس الاقتصادية والفكرية موجودة في هذا الكتاب "فلسفتنا واقتصادنا" ليس هناك تشنيع وتكفير للأطراف سواء كانت ماركسية أو كانت برجوازية ليبرالية، وكذلك بالنسبة إلى فلسفتنا حينما يتناول المنهج العقلي يحاوره بانفتاح وحينما يأخذ المذهب الحسي دافيدليون وجماعته يتناوله بموضوعية وحينما يتناول الماديين يتناولهم بموضوعية، هذه الطريقة نحن مضينا عليها فترة طولية وكانت حواراتنا مع الماركسيين مع القوميين ومع الوجوديين في ذلك الزمان كان حواراً رشيداً ولكننا بعد حالة الإرهاب التي صبها صدام علينا اعتقد انتقلت إلينا حالة الانكفاء على الذات أو حالة التطرف الى حدٍ ما باعتبار الإرهاب الذي مر علينا والإنسان حينما يتعرض الى حالة كبيرة من الإرهاب قد يتأثر بها الضحية يتأثر بعمل المجرم والقاتل في الغالب هذا ما أُصبنا به في العراق، نحن نحتاج في هذه المرحلة أن نعيد النظر في خطابنا الثقافي. أنا اعتقد أن خطابنا الثقافي متأثر بما مر علينا من حالات إرهاب نحن أصبنا بحالة تطرف ولذلك هذه المدرسة مدرسة التطرف ليست من اخلاقنا كعراقيين وليست من أخلاقنا كشيعة إمامية نحن الشيعة الأمامية مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) ليست المدرسة الزيدية ولا مدرسة الخوارج المتطرفة نحن اعتدنا على طريقة الحوار وحينما تقرأون حياة الإمام الصادق (عليه السلام) كان يحاور أبو حنفية بقلب مفتوح، كان يحاور الزنادقة، كان يحاور أو سفيان الثوري وأبو ليلى وانس بن مالك بقلب

مفتوح للجميع.

*** سيد عزالدين هل أنت مع علمنة الدولة أم مع دولة إسلامية؟**

. أنا حقيقةً بالنسبة لي اعتقد بأننا نحتاج في هذه المرحلة إلى سواء أكنا إسلاميين أم كنا علمانيين نحتاج إلى دولة إنسانية تهتم بالإنسان وتبني حكومة الإنسان، حكومة الإنسان التي اقصدها هي التي تهتم ببناء كرامة الإنسان بحماية حرية الإنسان بالتعبير أن إراداته باحترام الرأي والرأي الآخر وبعد ذلك كفاءة الطرح وكفاءة الرجال سواء أكانوا إسلاميين أم علمانيين هي التي تجعلهم كفوئين لقيادة التجربة

*** في ظل هذه المتغيرات التي يشهدها الشارع العراقي وهذه الصراعات وهذه الاستقطابات.. وتسرب حلقة المعرفة من خلال الانترنت ووسائل الإعلام هل تعتقد سيتأسس وعي جديد بما يحلم به المثقف؟**

. أنا أتعقد بدرجة لا بأس بها استطيع أن اقطع نحن نمر بحالة مراهقة سياسية والبلدان التي نشأت فيها الحريات بعد كبتٍ وبعد إرهاب عادةً تمر بما يشبه هذه الحالة في أوربا مرت الدول في هذه الحالة في كثير من دول العالم حتى في الصين لو تقرأون بعد ماوتيسونغ بفترة بدأت هذه الحالة أيضاً بعدها غيرت أيام الثورة الثقافية لو تقرأون أيام الثورة الثقافية في الصين جرى ما يشبه هذه الحالة وكذلك في الاتحاد السوفيتي وبعد بلدان الشرق ولكن الأمور تأخذ بعد ذلك شيئا فشيئاً بالاستقرار.

الحوار الثالث[1]

*** كيف تقرأون ما يجري الآن في الساحة العرقية؟**

. منذ البداية أعتقد أن التحرك السياسي في العراق يسير على خطين، خط ناضج يعمل وفق تجربة وخبره، لذلك فإن طرحه ناضج وكذلك هناك الوضوح في الستراتيجية ووضوح في التكتيك، والنمط الثاني في العمل هو النمط المراهق . إذا صح التعبير . هناك عمل سياسي، تجربة قصيرة حديثة التكوين. لذلك هذا النوع من التحرك لابد أن يقع فيه أخطاء، وكنت اخشى منذ وقت مبكر أن يكون عندنا في التيارات الإسلامية نمط من هذا القبيل، وهو أن يولد عندنا تيارات سياسية خبرتها قليلة، نضجها السياسي ضعيف وستراتيجيتها غير واضحة وغير دقيقة. علاوةً على أن ثقافتها غير واضحة، وغير مخطط لها بشكل دقيق، كما أن التكتيك الذي تتسلح به وتستفيد منه في عملياتها يكون عائماً وقد وقعنا فيما كنت أخشى الوقوع فيه.

*** لنقل أن هناك تيارات مختلفة ولكنها لا تملك تجربة؟**

. لا أتكلم عن الإخلاص، فالإخلاص عند الله سبحانه وتعالى، وإنما أتحدث عن طريقة العمل وأسلوب العمل، هناك تفتح وهناك بدائية، وهذا موجود في العالم الثالث، ونحن مررنا بهذه الحالة، مرت بنا تجارب كثيرة في العراق وغير العراق، سواء أكان عند القوميين أو عند الإسلاميين هذا موجود، أنا أعتقد إن الحالة التي وقعت خلال هذه الفترة حالة غير ناضجة، حالة لا تدرك الواقع بشكل دقيق، لا تعرف بدقة أنه نحن بلد محتل ونحتاج في هذه المرحلة خصوصاً (كشيعة) نحتاج أن يكون طرحنا معقولاً يقنع الآخرين ومطالبنا تكون دقيقة، بحيث تكون عندنا تدرجية في طرح أهدافنا، وطرح مطالبنا وحقوقنا و...الخ.

*** كيف تقيمون منجزات أو ما حصل عليه الشيعة بعد سقوط النظام؟**

. أنا أعتبر بالنسبة إلى مسيرة أمة من الناس أو حزب من الأحزاب أو تيار من

(1) جريدة الشراع، ملحق خاص بمناسبة استشهاد المناضل عزالدين سليم رئيس مجلس الحكم، بغداد، 2004م، ص3.

التيارات أن المكاسب الكبيرة لا يمكن أن تتحقق بين عشيةٍ وضحاها، ولا يمكن تحقيق ذلك في سنة واحدة، لعدة تداخلات في هذا البلد، هناك احتلال، وهناك تيارات أخرى غير هذا التيار، وهناك التيار الكردي، والتيار السني . إن صح التعبير . والأقليات الأخرى من التيارات القومية، والتيارات الليبرالية، كلٌ يريد مصالحه في هذا البلد، إذا حسبنا بدقة أولاً ماذا كنا نريد؟ وماذا تحقق حتى الآن؟ إذا كنا نريد إقامة دولة إسلامية، نسأل كم اقتربنا من هذه الدولة؟ أو أردنا حقوق الشيعة أو حقوق المسلمين أو الإسلاميين أو مصالح الإسلام، نسأل كم تحقق منها؟ وما هي هذه المصالح بدقة؟ أو ما هي الحدود التي يريدها هذا التيار أو ذاك؟

الحقيقة نحن كنا أولاً نعاني من حالة دكتاتورية، كبت وحرمان من جميع الجوانب، تمييز طائفي على الأقل سياسياً، وعندنا تمييز عنصري وقومي خبيث، هذه الأشياء كنا نعانيها، وانتم تنظرون للمقابر الجماعية وتعرفون ما تعرض له علماؤنا من قتل، وكيف كان كل شيء ممنوعاً على الشعب، حتى أمورنا العقائدية البسيطة كانوا يتدخلون فيها، هذا ما كان، وبعد سقوط الطاغية ماذا حققنا لحد الآن؟ لو نحسب بدقه وبموضوعية لوجدنا الذي حققناه هو ما يلي:

أولاً: لأول مرة توجد لدينا حرية أو توجد لدينا حالة التعددية يعني في هذا البلد صار مسموحاً للتعددية القومية والدينية، والمذهبية، والثقافية، هذا أعتبره مكسباً كبيراً.

ثانياً: لأول مرة يُعترف بالمذهب قانونياً وبالأحزاب والحركة الثقافية، بحيث تستطيع أن تعمل ما شئت من دور ثقافة ومؤسسات ثقافية، وصحف وغير ذلك، ولكن الحرية بمفهومها الواسع كما هي عندنا اليوم من فوضى وتحرر بمعنى يفعل المرء ما يشاء فيه نتائج عرضية لأن هذه الفوضى ليست من القانون.

*** ما هو النظام الأصلح للعراق وأنت بوصفك من كوادر حزب الدعوة هل تطالب بنظام حكم إسلامي؟**

. أنا إنسان يتبنى الإسلام على المستوى الستراتيجي، ولكن في هذه المرحلة نحتاج حكومة إنسانية، نظام يسمح لنا بالعمل، لأنه بنظري أنه إذا أتينا بالإسلام الآن

وأردنا أن نطبقه فسندمره في بلد مدمر اقتصادياً، وسياسياً، واجتماعياً، لأننا لو أتينا الآن بالإسلام في وحاولنا تطبيقه على هذا المجتمع فإنه سيفشل، إذاً ما نريده الآن هو حكومة تخدم الإنسان، تعطيه كرامته، وحريته، وبعد هذه المرحلة يمكننا . إذا أحسنا الطرح . أن نطرح الإسلام للناس كما فعل الأخوة الإسلاميون الأتراك، فهؤلاء الأخوة دخلوا في جو علماني راسخ ومحمي بالجيش والمؤسسات المالية، ولكن بطرح رائع ومقبول استطاعوا أن يدخلوا في جيب النظام العلماني ويفرضوا رؤاهم عليه وهذا أعظم عمل ونجحوا لحد الآن. إن العراق يختلف عن الآخرين لا نبدأ ولا نستعجل إذا أردنا أن نخطوا خطوات صحيحة أو سليمة. في هذه المرحلة علينا أن نستفيد من وجود حكومة تخدم الإنسان وتداوي جروحه، وتعطيه حريتهن بهد ذلك تزرع القيم للمجتمع، وحينئذٍ يمكن أن نطرح الإسلام طرحاً كفؤاً، وأن تشاع القيم وتبنى الحياة الكريمة للناس، وتؤمن الرعاية الصحية، ويزوج الشباب العزاب، وان يقنع الفتيات بالحجاب دون أن يفرض عليهن فرضاً، ثم نسعى لتوفير الخبز للناس والتعليم الجديد والمناهج والثقافة المناسبة غير المشنجة وغير المتطرفة، هكذا تزرع القيم والفضيلة، فإذا نجح الإسلام في هذه المرحلة بطرح كل هذه الأشياء بنضج وهدوء فأنا اعتقد بأن الناس ستختار الإسلام بإرادتهم، لكي يقيموا تجربة إسلامية ناضجة، أما إذا فرض الإسلام على الناس بالقوة، ونصبنا أنفسنا أولياء على الناس بالقصر فإننا سنخسرهم.

*** بعيداً عن الشأن العام قريباً من الشأن الحزبي الخاص بالنسبة لكم هنالك في الساحة العراقية أحزاب دعوة وليس حزباً واحداً يرث التاريخ النضالي لهذا الارث العظيم التاريخ والشهداء والنضال كيف تقيمون هذا إذا عدنا إلى فرضية أن هناك حزباً وليس أحزاباً كيف تقيمون واقع حزب الدعوة اليوم؟**

. حزب الدعوة لم يكن حزباً وإنما كان تياراً في الأمة، كلمة حزب هي تحجيم له، وهذا خطأ لأن الدعوة ما كانت تسمى حزباً، وإنما كانوا يسمونها دعوة إسلامية، الإعلام كبر القضية وسماها حزباً حتى يحشرها في زاوية محدودة، والجهات الثلاثة الموجودة الآن والتي تمثل الدعوة كلها تنتمي إلى جذور واحدة هي الدعوة الإسلامية، وأنا لا أنكر

بأنه يوجد بينها تقاطع في النظريات والأفكار، ولكني أعتقد أن أفضل طريق للتقارب هو الحوار والتنسيق، أما التفكير التفكير بجعلها حزباً واحداً فهذا سابق لأوانه.

*** هل هناك برنامج أو مشروع سياسي واحد لكم؟**

. مشروع سياسي غير موجود، لأنه يحتاج إلى شغل كثير، وفي نظري إننا نحتاج اليوم إلى التنسيق لا بين الدعاة فقط وإنما نحتاج إلى التنسيق مع جميع القوى الخيرة في هذا البلد إسلامية وغير إسلامية.

*** هل ترى أن حزب الدعوة الإسلامية أو أحزاب الدعوة الإسلامية لديها برنامج سياسي واضح؟**

أنا اعتقد بأن أحزابنا الإسلامية تحتاج إلى تغيير خطابها السياسي والثقافي بما يتناسب والمرحلة.

*** وهل تحتاج أيضاً إلى برامج سياسية؟**

. نعم وبرامج سياسية واضحة المعالم حتى تتخطى هذه المرحلة وتكون الستراتيجية القادمة واضحة أيضاً.